

رَمَضانُ المَبَّارِکِ ١٣٨٧
دیسمبر ١٩٦٧

قافلة الزيت



صورة الغلاف

يردحم المسجد النبوي الشريف بالمصلين خلال شهر رمضان المبارك .

تصوير : شيخ أمين

تصميم وطباعة مطابع المطوع

Designed and Printed by Al-Muttafa Press, Jeddah, Saudi Arabia

على قاب قوسين

على ما يبدو ليس بالصعوبة والتعقيد اللذين يتصورهما ، طالما أنه يدرك مواطن الداء . وإن عليه أن يعيد ثقته في نفسه عن طريق التأني والتريث .

لكن صديقي عاد يسأل وعلامات الأسى بادية على قسَمات وجهه : والأخطاء الكثيرة التي تعترض طريقي كيف السبيل الى مجابته وتفاديها ؟ فقلت له : ولكن كل فرد منا يخطئ أحيانا ويصيب أحيانا أخرى . والخطأ بعد ذاته لا يعتبر عيبا ولا ينقص من قدر المرء وكفاءته اذا صدر عن عجز أو سهو . ولكنه يسيء اليه اذا صدر عن اهمال وعدم اكتراث . ويمكننا تفادي الكثير من الأخطاء التي تعترضنا يوما اذا تفادينا التسرع وسلكنا سبل العقل والدرس والتدقيق . كما يمكننا الاستعانة بنوعي الخبرة والراسخين في العلم اذا عجزت امكاناتنا الشخصية عن الوصول الى حلول صحيحة سليمة لما يصادفنا من أمور وصعاب .

وقام صديقي مودعا ، ولم أعرف اذا كان حديثي لاقى أذنا صاغية لديه ، وعقدت العزم على معرفة ذلك لدى أول لقاء بيننا . وحالت بعض الظروف دون لقائه خلال شهرين أو يزيد فذهبت لزيارته في مقر عمله .. ولكنني حين قابلته أحجمت عن طرح أي سؤال حول الموضوع ، فقد كان في بريق عينيه وإبتسامته العريضة خير جواب .

مؤازر الربيع

مستفسرا عن سبب كآبته وعن دواعي الحزن الذي بدا واضحا على قسَمات وجهه . وكان ظني أن أمرا خطيرا قد حل به أو خسارة لحقت بتجارته .

ولم يخف على صديقي ان استفساري كان من باب المودة وبقصد المساعدة فقال دون تردد : ماذا أقول لك . انني امرؤ فاشل في كل شيء . فاشل في عملي وفي حياتي وفي علاقاتي مع الآخرين .

وفوجئت بموجة اليأس العارمة هذه تغطي على الرجل ولم أكن أعرفه الا متفائلا يعلل النفس بالأمال العراض والأحلام المزهرة . فقاطعتنه قائلا : ترفق بنفسك قليلا يا أخي ولا تتجن عليها بأرائك هذه .

ولم يكن في كلامي ما يكفي لتهدئة أعصابه وبدا عليه أنه ازداد اصرارا على رأيه محاولا أن يثبت صحة ما يدعيه بقوله : انني لا أعرف كيف أتصرف بحكمة . أعمائي وأقوالي كلها سلسلة متصلة من الأخطاء .. فإن أبدت رأيا أخطأت فيه ، وإن قمت بعملية تجارية أخطأت في تقديري لابعادها ونائجها واحتمال نجاحها أو فشلها . حتى بت أخشى أن أبدي رأبي في أي موضوع كان . وأصبح التردد عادة متأصلة لدي نتيجة انعدام الثقة في نفسي .

وبعد محادثة طويلة بحثنا فيها الموضوع من جميع نواحيه ، قلت لصديقي ما معناه أن الأمر

قافلة الزيت

تصدر شهر ربيع الثاني

شركة الزيت العربية الأمريكية
لوظائف الشركة - توزيع مجلاتها

العنوان : صندوق رقم ١٣٨٩ - الظهران ، المملكة العربية السعودية

المجلد الخامس عشر

العدد التاسع

مديرها ورئيس تحريرها : سَيِّفُ الدِّينِ عَاشِقُ

شهر رمضان المبارك

بقلم الأستاذ عبد القدوس الانصاري

الكريم ، أو ما يتيسر له منه . وهو في قيامه بهذه الصلاة المسنونة في كل ليلة من ليالي شهر رمضان ، يقرن برياضته الروحية في بياض نهاره ، رياضية روحية أخرى في سواد ليلاليه .. ولكلنا الرياضتين مزاياها المحببة في صهر النفس ، وكسر منطلق شهواتها ، ودحر عنفوان شرورها ، وقهر شياطينها ، والاتجاه بها الى منطلقات الخير والهدى والرشاد . كما أنه في الوقت نفسه يزكي جسده من الأدران ، وينفحه برياضة متحركة تمده في ركوعه وسجوده وقيامه وجلوسه بطاقات من النشاط والحركة والحيوية .

الجدير بالذكر أيضا أن نشيد من بان المشرع الحكيم قد شرع «وجبتين» محدودتين في اطار الزمان ، لتناول المسلم الصائم طعامه وشرابه في شهر رمضان . وليس للصائم أن ينقل وقت وجبة من هاتين الوجبتين المحدودتين الزمان الى وقت آخر ، والا بطل صيامه فيما اذا نقل وجبة الافطار — مثلا — الى ما قبيل غروب الشمس ، وفيما اذا نقل وجبة السحور الى ما بعد طلوع الفجر . وهو مقترف اثما كبيراً في الحالتين ان كان ذلك منه عن قصد مقصود .

البقية على الصفحة (٤٩)

تعالى فيما أمر ، وأداء مطالب الجسد باصلاح ما أفسده الاسترسال الرتيب من الانسان طيلة أحد عشر شهرا في تناول كميات الطعام والشراب بدون قيد محدد ، أو ضابط مقيد .

ونقول بحق : ان شهر رمضان شهر مبارك ، لأن هذا الشهر بالذات هو الشهر الذي أنزل فيه القرآن المجيد « هدى للناس وبينات من الهدى » .

وقد حدد لنا القرآن المجيد من عليهم صيامه في قوله : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » . ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر » وقرن هذا التسهيل الحكيم ، وهذه الرخصة الالهية للمريض والمسافر معا ، بان يصوما بدلا عن الأيام التي اضطرا للافطار فيها من شهر رمضان — أياما أخر ، ومن شهر آخر — بقوله تعالى « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .

وما دمنا في صدد الحديث عن مزايا شهر رمضان لصحة الانسان وروحه وطاقته المادية والمعنوية ، فلا علينا اذا أشرنا بأن المؤمن الصائم المطيع لأوامر ربه ، والعامل على أداء فرائضها الواجبة ونوافلها المستحبة ، هو بطبيعة الحال سيقوم ليالي رمضان ويحييها بصلاة التراويح ، يقرأ منها ما يشاء من القرآن

شهر رمضان ، شهر مبارك ، ميمون الطالع على المسلمين جليل المكانة في نفوسهم وفي مجتمعاتهم وأقطارهم ، ولذلك يستقبلونه بالأفراح والغبطة والتقدير والترحيب .

وشهر رمضان هو الشهر التاسع من كل سنة قمرية ، وهو الشهر الوحيد الذي فرض الله جل وعلا فيه القيام بركن الصيام على عباده المؤمنين ، البالغين سن الرشد ، القادرين ، المقيمين . والصيام مفروض عليهم في طيلة بياض نهاره ، فإذا غربت الشمس وجب على الصائمين الافطار . ولا يجوز شرعا مواصلة الصيام ، أي صيام ليلة ونهاره معا . وقد وضعت عبادة صيام شهر رمضان في المرتبة الرابعة من أركان الاسلام الخمسة .

ومعنى الصيام (شرعا) الامساك عن الطعام والشراب ، وبعض الشهوات المعينة في الفقه الاسلامي طيلة بياض النهار . وبهذا يكون الصيام في مخبره العميق اعتدالا ربيعيا لجسم الانسان وروحه . له حده المحدود في بداية ونهاية ، حتى تتحمله — بيسر — ، طاقة الجسوم المكلفة به ، وحتى يؤدي هو المهمة المزدوجة التي شرع من أجلها خير أداء . وهذه المهمة في معناها الواضح هي أداء مطالب الروح في اشراقته وسموه ، بطاعة الله

يقول النحاة وعلماء الصرف العرب أن لفظة «الانسانية» هي من المصادر الصناعية التي يشترك في تكوينها ياء النسب المشددة والتاء المربوطة في آخرها . وهي لفظة لا تجدها في المعاجم العربية القديمة ، مما يدل على أنها لم تكن في القياس ولا العرف والاستعمال ، وإن كنا نجدها في نص للأديب الفيلسوف أبي حيان التوحيدي من مفكري القرن الرابع الهجري ، وقد جاء هذا النص في كتابه المشهور «المقاييس» حيث يقول : (الانسانية أفق ، والانسان متحرك الى أفقه بالطبع) ، وإذا صح استنباطنا أن هذا اللفظ من اختراع أبي حيان ، فإنه يكون أول رائد في الميدان .

وخلو معاجمنا القديمة من لفظة «الانسانية» لا يدل على تقصير في الفكرة ، قدر ما يدل على اتجاه في النظرة . فإن أكثر معاجمنا القديمة لم تهتم بالألفاظ الاصطلاحية ، كمصطلحات الفقه والعلوم والفنون . ولقد عابوا على «الفيروز ابادي» صاحب «القاموس المحيط» إيراده لكثير من المصطلحات ، يدعوى أنها ليست من صميم لغة العرب ، وإنما هي طارئة مع الحضارة الجديدة .

وقد استدركت معاجمنا العربية الحديثة ما فات المعجم العربي القديم من تسجيل لفظة «الانسانية» ، فرأينا اللغوي الكبير المعلم بطرس البستاني يدخلها - لأول مرة - في «محيط المحيط» . ورأينا صاحب «أقرب الموارد» و «المنجد» ينقلانها عنه ، كما نقلها أيضا عبد الله البستاني في معجمه «البيان» وأطلق في مقابلها لفظة «البشرية» . أما مجمع اللغة العربية في مصر فقد جارى أصحاب المعاجم القديمة ، فأغفل إدراج اللفظة في «المعجم الوسيط» الذي صنفه أربعة من أعضائه ، كما أغفلتها «الموسوعة العربية الميسرة» مع أنها كانت ألصق بأبوابها ، وأدخل في موادها وموضوعاتها . وكذلك فعل العلامة اللغوي المرحوم الشيخ أحمد رضا ، فلم يدخلها في معجمه الكبير «متن اللغة» مع أنه أدخل فيه كثيرا من الألفاظ المولدة والمعربة حديثا .

مسكينة «الانسانية» ! لقد ظلمت حتى على يد أهل اللغة وأصحاب المعاجم ولم ينصفها الا قلة من المعجميين المعاصرين . ولكن الله عوضها خيرا على يد الشعراء الذين وسعوا أفقها أكثر مما عرفه أبو حيان التوحيدي ، فأحلوها في أشعارهم الى معان رفيعة ، وأهداف سامية . ولم يتناولوها بالتعريف قدر ما تناولوا آثارها في الحياة ومظاهرها في المجتمع . فالشعراء ، عادة ، لا يهتمون بالتعريفات قدر ما يهتمون بالأهداف والغايات .

و «الانسانية» في تعريف اللغويين العرب المعاصرين هي : «ما اختص به الانسان . وأكثر استعمالها لمحامد الأخلاق ومحاسن النفس ، من نحو الجود وكرم الأخلاق» (١) على أن بعض شعراء العرب المحدثين لم يفهم أن يعرفوا «الانسانية» بالحدود كما تعرفوها بالآثار والمظاهر في أشعارهم . فالشاعر المهجري شفيق معلوف يعرفها بقوله : «انها شعور الانسان مع الانسان بكل ما في هذا التعبير من شمول . وأذهب الى أبعد من ذلك فأقول : هي أيضا شعور الانسان مع الحيوان والنبات . وأحيانا شعوره - بدافع الألفة - مع الجماد . فهذا العطف الذي يدفع الجنس الى الحذب على جنسه يتعدى خلقه غالبا الى الانسان» . والشاعر المهجري جورج صيدح يعرفها بقوله : «لقد عرفت عن طريق ضميري ووجداني ، واكتفيت بذلك . انها في البدء شعور غريزي بقرابة تربطني

الانسانية

في الشعر العربي

بقلم الأستاذ محمد عبد الغني من

(١) هذا هو تعريف محيط المحيط والمنجد وأقرب الموارد .

بيني الانسان، وبتضامن مع جميع خلق الله . وهي بعد ذلك عمل ايجابي وسعي صادق لخدمة البشرية في حدود مواهبي وامكانياتي ... »
وهذا « التضامن » الذي يشعر به الشاعر العربي جورج صيدح هو نفسه الذي أشار اليه الفيلسوف الفرنسي « أوجست كونت » (Comte) حين تحدث عن « الانسانية » بأنها وحدة اجتماعية سرمدية كبرى ، تتصف بصفتين أساسيتين اجتماعيتين وأخلاقيتين ، وهما : صفة التضامن ، وصفة الاستمرار . وهذا التضامن ضروري للإنسان ، لأنه ليس انسانا حقيقيا الا باسهامه في الانسانية ، ولأن حياته ليست الا نسج ما تمنحه الانسانية .

وليس اللمسات الانسانية جديدة على الشعر العربي . فإن العلائق الوجدانية بين الانسان والانسان قديمة منذ خلق الله الناس على الأرض . ولكن هذه اللمسات تزيد ويتسع مداها ، ويقوى نبضها تبعا لاعتبارات نابضة من ظروف المجتمع نفسه . ولا شك أن النزعة الفردية القديمة ، وغلبة العواطف الذاتية وتضخمها قد شاركت في حجب النزعة الانسانية عند القدماء . وفي غمار تلك النزعات الفردية ضاع الحس الجماعي والمشاركة العامة ، وخاصة فيما يؤلم الآخرين . وإذا كانت العاهات اليوم تثير فينا الألم لغيرنا وتدعو الى الاشفاق والرثاء لهم ، فإنها كانت في المجتمعات القديمة مثارا للسخرية ومبعثا للإضحاك . ويكفي ما لقيه الشعراء والأدباء أمثال : الجاحظ ، وبشار ، والرشيد الأسواني من سخر وتندر على عاهاتهم .

ومن نفحات « الانسانية » أنها قد تبرز حتى في الأساطير والظروف التي ليست مظنة لظهورها . فقد كان الشعراء المسمون بالصعاليك في العصر الجاهلي يجدون في السطوات والغارات ، وفي الغنيمة منها موردا لقضاء ما يعتقدون أنه حقوق الفقراء عليهم . ويقول شاعرهم في هذا المعنى :

دعيني أطوف في البلاد لعلني
أفيد غني فيه لذي الحق محمل
أليس عظيمًا أن تلم ملمة

وليس علينا في الحقوق المعول ؟
وإذا كانت « الانسانية » تحمل من معانيها اهتمام الانسان بأمر أخيه الانسان ، فإن شاعرنا القديم قد عبر عن هذا الاهتمام بقوله في وصف انسان :

رأى خلتي من حيث يخفي مكانها فكانت قذى عينيه حتى تجلّت
فهذا الصديق الانسان رأى في صاحبه فقرا خافي المكان لأنه يستره ، فلم تهدأ نفسه ، ولم تنجل غمامة عينه الا حين أعانه على جلاء هذه الغمة . وليس أبلغ من هذا في التفقد الشديد والغاية التامة بكشف غمة المعوزين .

وهذا الاهتمام الشديد بأمر الغير كأنه الاهتمام بأمر النفس ، قد عبر عنه الشاعر الجاهلي « أمية بن أبي الصلت » بقوله :

إذا ليلة نابتك بالشكو ، لم أبت لشكوك الا ساهرا أتملل
كأنني أنا المطروق دونك بالذي طرقت به دوني ، فعيني تهمل
وقد يكون من مجالي « الانسانية » الاغضاء عن عيوب الآخرين ، وغض العين عن أخطائهم ، ولكن الشاعر العربي القديم زاد على اللمسة مسا جعل المعنى الانساني فيها كريما . فهو يقول في صفة قومه الذين يصح نعتهم بكلمة « آدميين » :

لا يفتنون لعيب جارهمو وهمو لحفظ جواره فطن
وهل كان شاعرنا « معن بن أوس المزني » الا انسانا عريقا في انسانيته حين لم يقابل واحدا من ذوي رحمه بمثل ما قابله هو به ؟ ونتركه يصور لنا مفارقات السلوك بين الاثنين قائلا :

وذي رحم قلمت أظفار ضغنه بحلمي عنه ، وهو ليس له حلم
إذا سمته وصل القرابة سامني قطيعتها ، تلك السفاهة والظلم !
وأسعى لكي أبني ، ويهدم صالحني وليس الذي يبني كمن شأنه الهدم
فما زلت في لبني له وتعطفي عليه كما تحنو على الولد الأم
لأستل منه الضغن حتى سلكته وان كان ذا ضغن يضيق به الحزم
ويذكرنا هذا الموقف الانساني النبيل بقول الشاعر الأموي « المقنع الكندي » في المعنى نفسه :

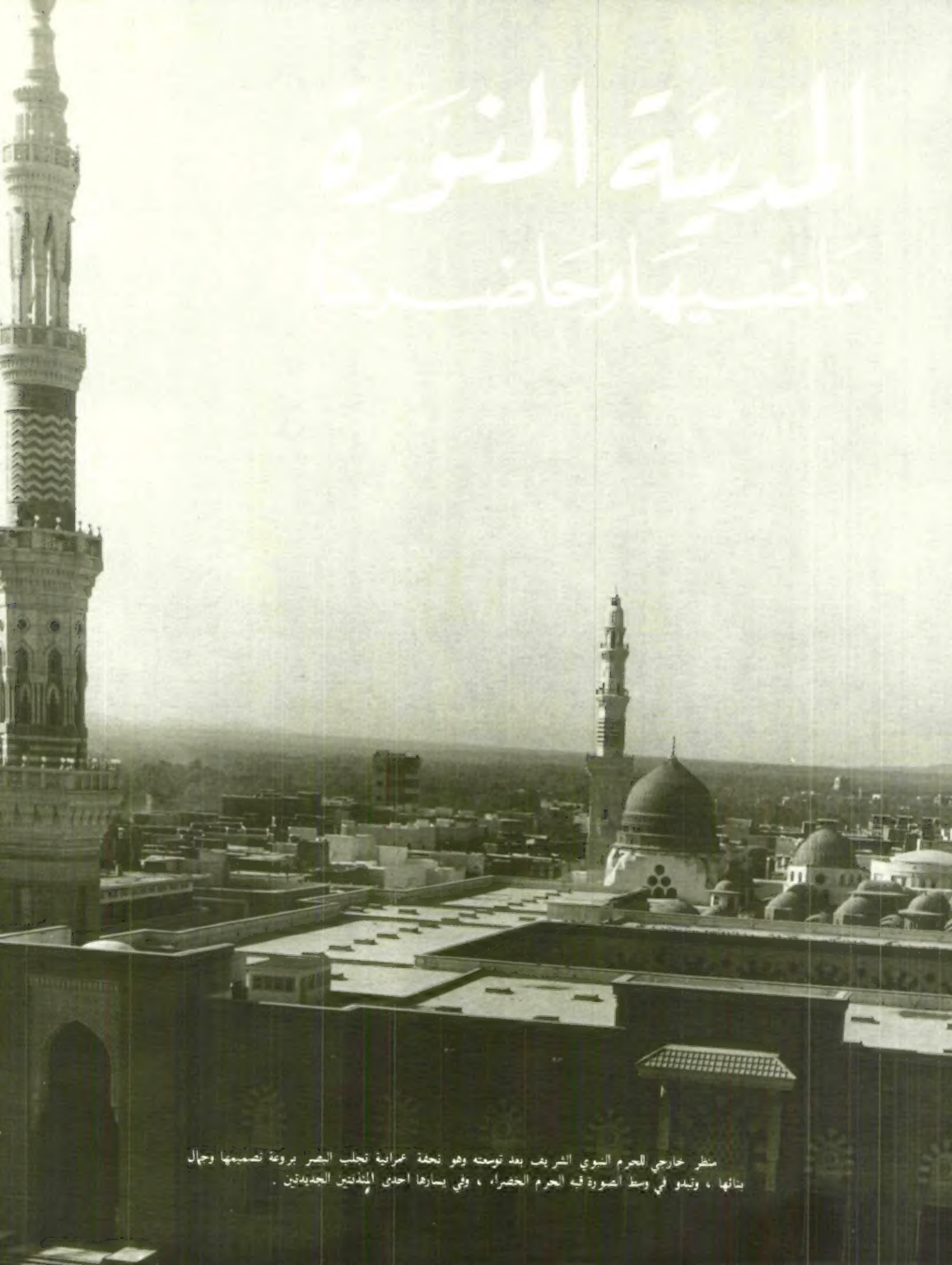
وان الذي يبني وبين بني أبي وبين بني عمي لمختلف جدا
فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم وان هدموا مجدي بنيت لهم مجدا
وان ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم وان هم هووا غيبي هويت لهم رشدا
لهم جل مالي ان تتابع لي غني وان قل مالي لم أكلفهمو رفدا
ولقد ظهرت النزعة الانسانية قوية المعالم في شعر أبي العلاء المعري ، على الرغم من انحصاره في محبسه : محبس العمى ، ومحبس المنزل . فقد أراد السمو بالانسان بالحياة البشرية عن طريق نقده للمجتمع ، فلم تكن انسانيته لمحات عوار ، أو خطرات قيد اللحظة ، ولكنها انسانية أصيلة راسخة الجذور . وإذا كان التعاطف الانساني بين الانسان والانسان من ملامح الانسانية ، فإن أبا العلاء المعري قد وسع نطاق هذه العاطفة نحو الحيوان والطير أيضا .

والقيم الانسانية التي اهتم الشعر العربي الحديث بابرازها كثيرة ، كالحب ، والأخاء ، والبذل ، والجود ، والتضحية ، والاحسان ، والحس بآلام الآخرين ، والاغضاء عن عيوبهم ، ونشر فضائلهم ، والكف عن الأذى ، والتماس السعادة في سبيل اسعاد الغير ، والعطف حتى على الحيوان ، بل الجماد ، والعاطفة الأسرية . ويتوج هذا كله عاطفة الوطنية التي لا تتنافى مع النزعة الانسانية بل تسايها ، حتى تظهر كرامة الانسان في وطنه فتتحقق كرامة الانسانية فيه .

قد أثارت هذه الخواطر السانحة في النفس قراءة كتاب جديد صدر أخيرا للكاتبة السورية المجتهدة الآتية عزيزة مريدن ، وقد جعلت شطره عن الانسانية في شعر المهجر الجنوبي . ولقد أجادت الكاتبة الفاضلة معالجة الموضوع في مجاله المهجري ، كما أحسنت عرض النماذج الجيدة من شعر شفيق معلوف ، وجورج صيدح ، والشاعر القروي ، والشاعر المدني ، ونعمة قازان ، ونصر سمعان ، وشكر الله الجر ، والياس فرحات ، وتوفيق بربر ، وزكي قنصل ، وميشيل مغربي ، وحسني غراب ، وفوزي المعلوف ، وجورج صوايا وغيرهم .

على أن انحصار هذه الدراسة الجادة في المهجر الجنوبي يحملنا هنا على الإشارة الى جوانب انسانية رفيعة لم تدخل في نطاق هذا الكتاب الرصين ، كالذي تجده في شعر معروف الرصافي ، وأحمد صافي النجفي ، ومحمد صالح بحر العلوم ، وإيليا أبو ماضي ، وميخائيل نعيمة ، وجبران خليل جبران ، والأخطل الصغير ، وخليل مردم بك ، وطائوس عيده ، وعبد الحميد السنوسي ، ومحمد الجيار ، وعبد بدوي ، وكامل أمين ، وغيرهم .

المدينة المنورة ماضيها وحاضرها



منظر خارجي للحرم النبوي الشريف بعد توسعته وهو تحفة عمرانية تجلب البصر بروعة تصميمها وجمال
بنائها ، وتبدو في وسط الصورة فيه الحرم الأخضر ، وفي يسارها إحدى المئذنتين الجديديتين .

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
ورق الانشاد ، وابتهجت البلدة الآمنة بمطلع
البدر الحبيب الذي غمر نور دعوته تلالها ووادها
وسهولها وجبالها فانبثق يملأ الأرض رحمة وعدلا ،
وأخذت تطل على العالم مأوى لمنقذه وسيده
ورسول خالقه اليه ، ومقلا للأبوة الصيد من
أصحابه الذين لم ييخلوا في سبيل دعوة الحق
والخير والسلام بدمائهم الزكية أو بأرواحهم
الطاهرة ، فبسط اسمها التاريخ بقديسة وفخار ،
وتوجتها الفتوحات الاسلامية بأكاليل غار ،
فكانت عاصمة دولة الاسلام الأولى وثانية أقدس
مدينتين في دياره ... تلك هي المدينة المنورة ،
مدينة الرسول التي قال (عليه السلام) في
فضلها : « ... المدينة خير لهم لو كانوا
يعلمون . لا يدعها أحد رغبة عنها الا أبدل الله
فيها من هو خير منه : ولا يثبت على
لأوائها الا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم
القيامة » .

سرفيراآثارها

تقع المدينة المنورة على خط عرض ٣٢° ٣٤' شمالي خط الاستواء ، وعلى خط طول ٣٩° ٥٠' شرقي غرينتش على مسافة ٢٦١ ميلا (٤٢٢ كيلومترا) من جدة ، في سهل واسع يرتفع عن سطح البحر حوالي ٢٠٠٠ قدم (٦١٠ أمتار) . ويبلغ متوسط الحرارة السنوية فيها ٧٠° ف (٢١° م) وتصل حرارتها العظمى الى ١١٣° ف (٤٥° م) والصغرى ٢٣° ف (٦° م) .

وقد عرفت المدينة المنورة بأسماء عديدة منها يثرب ، وطيبة ، والعذراء ، ودار الهجرة ، ومدينة النبي ، ومن هذا الاسم الأخير أخذت اسمها الذي تشتهر به الآن .

ويذهب بعض المؤرخين الى أن العمران في المدينة قد بدأ منذ ألف وستمئة قبل الميلاد (٢٢٢٢ سنة قبل الهجرة)

والمدينة مسقط رأس أم الرسول عليه السلام ومقر هجرته ، ومنها وجه النبي قواده وجيوشه في غزوات بدر ، وأحد ، وقريظة ، وخيبر ، وغيرها حتى وحد العرب ، فوجهها لغزو الروم . وفيها جدته وقبر والده وقبور الكثيرين من آل بيته وأصحابه .

ومعروف أن المدينة كانت ، ولا تزال ، كنزا من كنوز الآثار الاسلامية من مساجد ودور وقصور وحصون وبلاطات وأمكنة تاريخية ، وآبار وعيون مما لا يتسع المجال هنا لحصره (١) . والمدينة أغنى ما تكون بمساجدها ، ويكفيها فخرا أن يتوسطها الحرم النبوي الشريف ، مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) . وقد بناه الرسول بمساحة قدرها ٢٤٧٥ مترا مربعا في المريد أمام بيت آل التجار بعد أن هاجر الى المدينة ، وقد رفع أساسه بالحجارة وسقف بعضه بالجريد وجعلت أعمدته من جذوع النخل . ثم تعاقب عليه خلفاء المسلمين وسلاطينهم ترميما وتجديدا وزيادة حتى بلغت مساحته قبل التوسعة السعودية في هذا العصر حوالي (١٠٣٠٠) متر مربع . ثم جاءت التوسعة السعودية فأضافت ما مساحته ٦٠٢٤ مترا مربعا الى عمارة المسجد ورمت ما مساحته ٦٠٤٧ مترا مربعا ، وبذلك أصبحت مساحة المسجد الاجمالية الآن (١٦٣٢٧) مترا مربعا ، واتخذ شكله البديع الحالي الذي يبهز العقل بجماله وفن عمارته ونقوشه وزخرفته .

وللمسجد الآن أبواب عشرة ومئذنتان يبلغ ارتفاع كل منهما سبعين مترا ، وهو منار بالكهرباء ، مجهز بالمراوح الضخمة ، مفروش بأفخر السجاد ، وتقوم على خدمته هيئة من أفاضل الناس . وتلفت النظر آلاف طيور الحمام الوادعة التي ترفرف في أجوائه آمنة مطمئنة . وقد جاء في فضل المسجد النبوي قول الرسول (عليه السلام) : « من صلى في مسجدي أربعين صلاة لا تفوته صلاة كتبت له براءة من النار وبراءة من العذاب وبراءة من النفاق » . وقوله (عليه السلام) : « الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة وفي مسجدي بألف صلاة وفي بيت المقدس بخمسائة صلاة » . وتحيط بالمسجد ساحة مبلطة نظيفة تقوم عند نهايتها مئات الدكاكين الصغيرة التي تغص بمختلف أنواع البضائع مما يحمله الحجاج والزوار الى ذويهم اذ يغادرون المدينة ، فكان المكان بعد كل صلاة خلية النحل تعج بالحركة والنشاط .

وفي جنوب غرب المدينة يقوم مسجد « قباء » ، وهو أول مسجد أسس على التقوى ، وقد بناه الرسول صلى الله عليه وسلم عندما أوشك أن يصل المدينة مهاجرا ، وتعاقبت عليه كذلك أعمال الترميم

والتجديد ، وورد في فضله قول الرسول (عليه السلام) : « الصلاة في مسجد قباء كعمرة » . وهناك مسجد « الجمعة » الواقع في بطن وادي رانواء ، وسمي كذلك لأن الرسول صلى فيه صلاة الجمعة اذ أدركته في موضعه . وقد جدد عمارته الملك المظفر بايزيد العثماني حوالي سنة ٩٠٠ هـ . ومسجد المصلى أو الغمامة الواقع في جنوب غرب المناخة (٢) ، والذي بني حيث كان الرسول يصلي صلاة العيدين ، وكان آخر من جدد السطان عبد الحميد الثاني ، ولا تزال عمارته قائمة الى اليوم بقباها الست المستقرة على عقود ترتكز على أعمدة بيضاء ناصعة . وقد انتقلت صلاة العيدين منه الى المسجد النبوي نظرا لانتساع هذا وكثرة عدد المصلين . وفي المدينة أيضا من المساجد مسجد الفتح الواقع عند منحدر من جبل سلع شمال غرب المدينة ، وهو مبني من عهد الرسول (٣) ، وفيه أو في موقعه ، كان الرسول يدعو على الأحزاب حتى خذلهم الله وانهمزموا . وهناك أيضا مسجد القبلتين ، حيث صلى الرسول متجها الى بيت المقدس وما كاد يتم الركعتين حتى أمر بالتوجه الى الكعبة وبذلك سمي المسجد مسجد القبلتين . وهناك مسجد السقيا ومسجد الاجابة ومسجد السجدة وغيرها كثير . وتروي كتب التاريخ أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد صلى في ثمانية وعشرين مسجدا في طريقه للحج الى مكة في حجة الوداع .

وقد شيدت في المدينة قصور كثيرة الا أنها درست ولم يبق منها الا آثار قصر سعيد بن العاص الذي شيده في القرن الأول للهجرة وسط العرصة الصغرى من وادي العقيق ، وكان على درجة من الجمال رفيعة حتى لقد فضله الشاعر على دمشق عاصمة الخلافة آنذاك اذ قال :

القصر فالنخل فالجَمَاء بينهما

أشهى الى النفس من أبواب جيرون
وتحيط بالمدينة جبال وحرار كثيرة كان لها اتصال وثيق بتاريخ الاسلام ، وأهمها جبل أحد الواقع شمالي المدينة والذي وقعت عنده الغزوة المشهورة . ويبلغ طوله ٦ كيلومترات ، وقد عثر فيه ما يدل على أنه غني بالجواهر النفيسة من حجر أمد وزبرجد وغيرها . وفيه مسجد صغير يقال أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد صلى فيه يوم « أحد » بعد انتضاء القتال . وهناك أيضا جبل رماة ، ويقع جنوب

(١) في كتاب (آثار المدينة المنورة) للأستاذ عبد القدوس الأنصاري بحث تفصيلي عما درس وما بقي من هذه الآثار ويحسن بالقراءة الرجوع اليه .

(٢) أحد أحياء المدينة . (٣) كما يذكر الأستاذ عبد القدوس الأنصاري في كتابه ويخالفه الأستاذ عبد السلام هاشم حافظ اذ يقول في كتابه « المدينة

المنورة في التاريخ » أن باني المسجد هو عمر بن عبد العزيز .

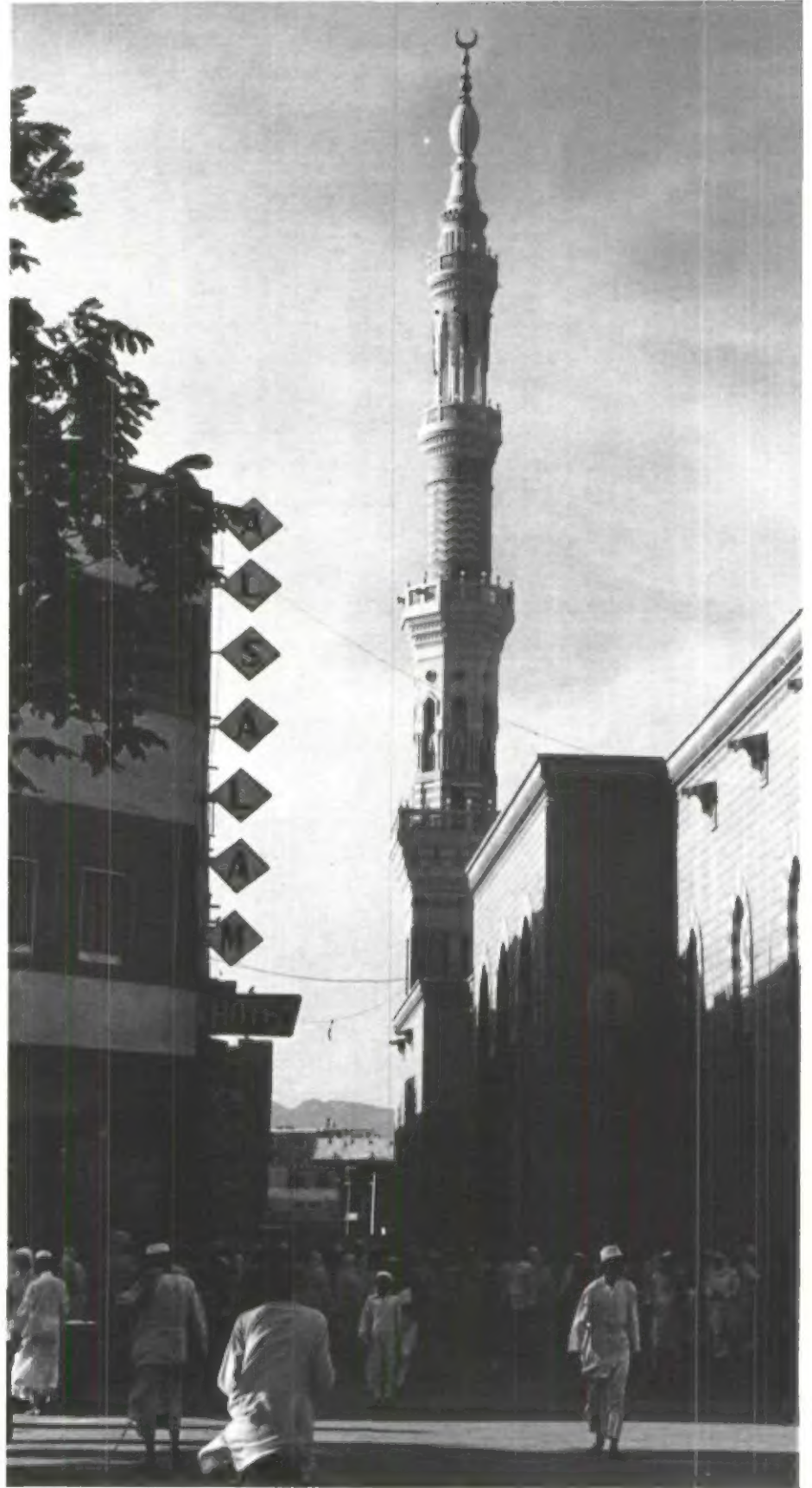
ضريح سيد الشهداء حمزة رضي الله عنه ،
وسمي كذلك لأن الرسول وضع عليه خمسين
من الرماة يوم أحد . وجبل سلع ، وهو جبل
ضخم شامخ ، حجارتها سوداء هشة . وتوجد
حول المدينة بضعة حرار أهمها حرة واقم شرقي
المدينة ، وحرة الوبرة غربيها . وأودية وسول
كثيرة أشهرها وادي العقيق ووادي راتونا ووادي
بطحان ووادي مذيئيب ، وكانت تقوم على
وادي العقيق القصور الشامخة والحدائق الغناء
وكذلك على بقية الأودية ، إلا أن مياهها نضبت
وقصورها عفت ، إلا العقيق فلا تزال بعض
المتنزهات تقوم على جانبيه هنا وهناك .

مدينة حديثة مطورة

كانت تنتشر حول المدينة حصون وآطام
كثيرة بنيت بحجارة ضخمة هائلة ، ولكن
معظمها قد اندثر . وحتى سورها الذي بني
عام ٢٦٣ هـ وجدد عام ٩٤٦ هـ قد أزيل
لاتساع رقعة المدينة بازدياد الحركة العمرانية
فيها ، فقد اتصلت أو كادت تتصل بضواحيها
بفضل ما شيد فيها من عمارات وبيوت وفنادق
ومدارس جديدة . وزائر المدينة لن يفوته أن
يرى القديم والجديد يتعانقان في محلات المدينة
وشوارعها ، فيؤخذ بذلك رغم أن فلولا من القديم
بقيت حتى الآن ، وهي تتعرض كل يوم لأن
تحل محلها العمارات الشامخة والأبنية الحديثة
والشوارع الواسعة والميادين الفسيحة التي تزدهر
أرصفاتها بالأشجار ، وجناتها بالزهور .
وفي المدينة استعدادات سياحية جيدة إذ
أن فيها عددا من فنادق الدرجة الأولى والثانية
والاستراحات . ومعظم فنادقها مكيفة الهواء
ومجهزة بالأثاث الحديث ، مما يجعل إقامة
الغريب فيها مريحة وممتعة .

وتتمتع المدينة بنظام إدارة مركزي ممتاز ،
فقد جمعت معظم دوائر الحكومة فيها في بناية
واحدة (مجمع) وذلك تسهلا للمواطنين
عندما يتبعون معاملاتهم . ويحوي المجمع الحالي
ثلاث عشرة دائرة على رأسها إمارة المنطقة . وهو
يقع في مدخل حي قباء ، إلا أنه قد بوشر
ببناء مجمع أكبر في مدخل العنبرية يتسع لكل
الدوائر الحكومية هناك .

وفي الليل ، تلبس المدينة حلة زاهية من
الأنوار الكهربائية ، وتملك امتياز تزويد المدينة
بالطاقة الكهربائية شركة أهلية . ونظرا لتوفر



بعد كل صلاة ينتشر المصلون من كل جنس في ساحة الحرم الشريف المبلطة حيث عشرات الدكاكين فيبتاعون
ما يحتاجون من صنوف البضائع والمعرضات .



ابن الحكم ، بتطوير سقيا المدينة ، فكان أن حضر مروان العين المشهورة باسم العين الزرقاء (لزرقة في عيني مروان) وأجراها في نفق أرضي (دبل) من قباء الى أن دخلت المدينة . ومنذ ذلك العهد حتى أوائل هذا القرن والمدينة المنورة تشرب من العين الزرقاء . وفي عهد النهضة الحالية بدأت المدينة المنورة وغيرها من الحواضر تتطلع الى مستقبل متطور زاهر . وما أن حان عام ١٣٧٣ هـ حتى كانت المدينة تستقي من خزائين كبيرين يصلهما الماء من ثلاث آبار أرتوازية ، ويتوزع عنهما الى بيوت المشتركين بخط أنابيب قطره اثنا عشرة بوصة ، فكان ذلك آخر عهد للسقيا من العين السالفة الذكر . ثم حضرت عام ١٣٧٥ هـ أربع آبار أخرى كان من شأنها توفير مياه أكثر لتعميمها على جميع السكان . وتبعاً لاتساع رقعة المدينة وزيادة عدد سكانها ازداد الطلب على الماء ، فتكونت عام ١٣٧٨ هـ لجنة درست أحوال المياه فيها وقررت تطويرها وانماؤها ومباشرة العمل في ذلك على ثلاث مراحل . وقد تم في المرحلة الأولى انشاء خزان قباء ومد خط أنابيب قطره عشرون بوصة منه الى المدينة وحفر خمس آبار أرتوازية جديدة .

الانتاج التالي تقوم المحطة باجراء تجارب كثيرة لتطوير صناعة التمور وانتاج منتجات أخرى متنوعة .

وتحقيقاً للغرض الذي أنشئت المحطة من أجله أنشئ في المدينة مصنعاً تعبئة متشابهاً ، هما مصنع السيد محمود أحمد ، ومصنع السيد عبد المعين عبد الرحمن ، وهما يقومان مع مصنع المحطة النموذجية بتصنيع الانتاج في كل موسم ، ويتعاون الفنيون فيهما مع فنيي المحطة لرفع مستوى الانتاج .

وبالإضافة الى صناعة التمور ، توجد في المدينة صناعات أخرى صغيرة متعددة منها ثلاثة مصانع للثلج ، ومصنع لتعبئة المياه الغازية . وفيها عدد كبير من العطارين الذين يصنعون عطورهم محلياً .

ماء ومضرا ومضرات

كانت المدينة فيما مضى تستقي من آبار عادية يجمع فيها ماء الأمطار ، وكان يتبع ذلك ما يتبعه من عناء ومشقة ، الى أن أمر معاوية بن أبي سفيان عامله في المدينة المنورة ، مروان

الكهرباء وانتشارها ، فقد تولد العديد من الصناعات التي ساعدت على تطوير الحياة في المدينة وتحسينها بشكل ملحوظ .

ومن أهم تلك الصناعات ، صناعة التمور ، وقد كانت هذه الصناعة فيما مضى بدائية ، فكان محصول التمور الكبير ، تبعاً لذلك ، لا يستغل استغلالاً صحيحاً تاماً . وفي عام ١٣٧٢ هـ أسست وزارة الزراعة ، في المدينة محطة نموذجية لأبحاث التمور ومنتجاتها ، أصبح ينتفع بفضلها بمحصول التمور انتفاعاً كاملاً وعلى مستوى رفيع . وتتألف المحطة من آلات ومعدات تستعمل في فرز أنواع التمور وتعقيمها وغسلها وإخراج النوى منها وحشوها بالمكسرات أو هرسها وخلطها وتعبئتها في عبوات مختلفة الأوزان لعرضها في الأسواق بصورة صحية وجذابة . وظلت المحطة تعمل لحساب وزارة الزراعة مدة أربع سنوات فازداد الطلب على منتجاتها . لذلك أقبل المزارعون وتجار التمور عليها لتصنيع محاصيلهم فيها بأجرة رمزية ، فكان لهم ذلك وأصبحت المحطة تعمل في الموسم ليل نهار بطاقة انتاجية تبلغ (٦٠) كيلوغراماً في الدقيقة . وفي انتظار حلول موسم



شوارع واسعة وعمارات حديثة أخذت تحل محل القديم حتى غدا فلولا وبقايا .

احدى القلاع التي كانت تنتشر حول المدينة المنورة ويرجع تاريخ بنائها الى
أكثر من قرنين من الزمن . مجمع الدوائر الرسمية في المدينة المنورة ، تحيط به الزهور والأشجار الخضراء .



وينتظر قريبا أن تتم أعمال المرحلتين الثانية والثالثة التي تشمل تجديد شبكة أنابيب المياه الحالية وإنشاء شبكة أخرى ، وحفر المزيد من الآبار ، وبناء خزان فوق جبل سلع وآخر في منطقة قباء ، على ارتفاع كبير بحيث يمكن إيصال الماء إلى أي بيت دون استعمال مضخات أو غيرها . كما تشمل المرحلتان معالجة بعض المياه المالحة وتحليلها ، وتقوم على صيانة الآبار وشبكة الأنابيب والخزانات إدارة العين الزرقاء . وتشهد المدينة المنورة هذه الأيام حركة زراعية ناهضة ، إذ تحيط بها عشرات المزارع الأهلية التي تروى بمياه الآبار الارتوازية والتي تنتج آلاف الأطنان من الخضروات والفواكه والحبوب سنويا مما يسد حاجة المنطقة . فبالإضافة إلى التمور ، نرى في تلك المزارع مختلف أنواع الخضروات والفواكه وغيرها من المحاصيل التي تزرع بطرق مستحدثة تضمن للمزارعين متوجا جيدا وبالتالي إيرادا حسنا .

وتنسقا لأعمال الزراعة وتطويرها ، تقوم مندوبية وزارة الزراعة في المدينة المنورة بالإشراف على تلك المزارع وتزويدها بالبذور والفسائل والأسمدة والأدوية والإرشاد الزراعي والمعدات من رشاشات ومضخات . ويقوم فنيو المندوبية بزيارات دورية للمزارعين في حقولهم ليكون الإرشاد أكثر فعالية وأعظم نفعا .

ولتشجيع المزارعين ، أنشأت المندوبية عام ١٣٧٥ هـ في سلطنة بواحي العقيق ، مزرعة نموذجية أتبعتها عام ١٣٧٨ هـ بمحطة أبحاث لتربية الدواجن . أما المزرعة النموذجية فتضم أقسام المشاتل ، وأشجار الحمضيات والتخيل ، والتجارب الزراعية ، وصناعة المراكب الفخارية ، بينما تضم محطة تربية الدواجن أقسام الطيور والتفريخ الصناعي ، والآبار ومنتجات الألبان ، والأرانب ، والطلب البيطري . وتقدر مساحة أرض المزرعة والمحطة بنحو ٦٠ دونما تستغل كلها استغلالا تاما . وتفتح المزرعة والمحطة أبوابها دائما للمزارعين ممن يأتون للاطلاع أو لشراء الشتلات والبذور بأسعار مخفضة ، أو لشراء الأبقار أو العجول أو الكتاكيت الصغيرة . ويتم كل ذلك بإشراف عدد من الخبراء والفنيين . ويحتوي قسم الدواجن في المحطة على حوالي ٥٠ ديكاً رومياً ، وعدد كبير من دجاج « الجهورن » البياض والقيومي والبلدي المحسن ، وعلى عدد كبير من بط « بكين » و « روان »

وعلى حوالي مائة من أبقار « الفريزين » والجيرسي » والبلدي المحسن ، وهي تربي بإشراف أخصائي دواجن وطبيب بيطري . وتجري المحطة تجارب كثيرة على أنواع الثمار والزهور لمعرفة ما يصلح للزراعة في الظروف البيئية هناك ، كما توزع مجانا على المزارعين شتائل أشجار الزينة والفواكه والزهور والخضروات المختلفة . ولا تقتصر أعمال المندوبية على ذلك ، فهي تجند عددا كبيرا من المعدات الزراعية والمرشدين والفنيين لخدمة الزراعة والمزارعين ، كما تشرف بالتعاون مع إدارة العين الزرقاء على حفر الآبار الارتوازية في المزارع ، وتكافح الآفات والأمراض الزراعية بالإضافة إلى قيامها بمختلف النشاطات التي تعود على المزارع بالنفع والخير العميم .

للمدينة المنورة تاريخ ثقافي حافل . فهي ، ابتداء بحلقات الدرس التي كانت ولا تزال تعقد في أروقة الحرم الشريف على أيدي كبار العلماء والمتفكرين منذ ظهور الإسلام حتى الآن ، وانتهاء بالجامعة الإسلامية ، أضخم مركز تعليمي في الحجاز ، تعتبر بحق منارة علم ومعرفة . وقد عرفت من العلماء والأئمة والأدباء خلقا كثيرا (٤) ، ورفدت تراثنا العربي بفحول أغنوه بمولفاتهم القيمة وجهودهم الكريمة المثمرة . وبانتشار التعليم في أنحاء المملكة العربية السعودية ، بنيت في منطقة المدينة المنورة عشرات المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية للبنين والبنات يتلقى العلم فيها آلاف الطلبة فتخرج منهم كل عام جيلا من الشباب المتعلم الواعي الذي ينخرط في خدمة مجتمعه بكفاءة وإخلاص .

وفي المدينة المنورة مركز إدارة تعليم المنطقة ، وهي تشمل المدينة ونواحيها والمدن والقرى التي تتبعها إداريا . ويبلغ عدد مدارس البنين في هذه المنطقة ١٠٣ مدارس تضم ١٩٣٣٢ طالبا يقوم بتدريسهم ٩٢٥ مدرسا . كما أن هنالك عشرات من مدارس البنات ومعاهد المعلمين والمدارس الصناعية والزراعية وغيرها من دور العلم . وبديهي أن لا تعنى هذه المدارس بتدريس تلاميذها المواد الدراسية فحسب بل إنها تمارس مختلف أنواع النشاط الثقافي والرياضي والكشفي والمكتبي مما يملأ وقت فراغ الجيل

الصاعد ويعود عليه بالنفع . لذلك نجد هذه المدارس مزودة بملاعب ومختبرات ومكتبات لممارسة ضروب النشاط المختلفة ، كما نجد أنها تنظم الرحلات الجماعية الكشفية وغير الكشفية ، والمباريات الرياضية داخل المنطقة وخارجها والمهرجانات الرياضية والثقافية والأدبية ، مما يساعد على بناء شخصية التلميذ ثقافيا واجتماعيا وخلقيا أيضا .

وتبعا لتعميم التعليم الصناعي في مختلف مناطق المملكة العربية السعودية ، افتتحت عام ١٣٧٦ هـ مدرسة صناعية كبيرة في المدينة المنورة يلتحق بها الطلاب فور انتهاء المرحلة الثانوية المتوسطة بنجاح . ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات يتخرج الطالب بعدها بدبلوم مهني يخوله ممارسة العمل ضمن حقل اختصاصه ، بينما يبتعث المتفوقون إلى الخارج لاتمام دراساتهم المهنية . وتضم أقسام المدرسة الثلاثة عشر (٥) الآن حوالي ٢٥٠ طالبا ويبلغ عدد أعضاء الهيئة الإدارية والتدريسية حوالي ٧٠ مدرسا وموظفا ، بينهم ١٤ مهندسا عدا الجامعيين المختصين في مختلف المجالات العلمية والمهنية . وقد أقامت المدرسة هذا العام معرضا حافلا لما أنجزه الطلاب من نماذج في مختلف الأقسام ، كان لها أجمل الوقع في نفوس الزائرين لما كانت عليه من دقة في الصنع وجمال في التصميم .

أما على الصعيد الأهلي ، فلا يوجد في المدينة المنورة الا روضتان نموذجيتان للأطفال تشرف عليهما وزارة المعارف ، كلتاهما تقبلان الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين سنتين ونصف وست سنوات ، فتهيئهم لدخول المدارس الابتدائية . وتقوم على التدريس في الروضتين مدرسات يتبعن أساليب الترويح الحديثة في معاملة الأطفال . وهما تملكان حافلات لنقل الأطفال وملاعب وأراجيح ووسائل إيضاح حديثة . هذا ، وينتظر أن يفتتح في المدينة المنورة فرع لمدارس دار الحنان الأهلية خلال العام القادم بعد أن وافقت وزارة المعارف مبدئيا على ذلك .

ومن ناحية أخرى ، كانت المدينة المنورة ولا تزال من أعرق المدن من الناحية الأدبية (٦) ، وقد كان ذلك نتيجة لوجود العديد من المكتبات الخاصة والعامة فيها ، ولما حوته تلك المكتبات من عيون الكتب المخطوطة والمطبوعة مما ألفه السلف الصالح في شتى ميادين المعارف والعلوم .

(٤) يجد القارئ في كتاب « المدينة المنورة في التاريخ » للأستاذ عبد السلام هاشم حافظ عرضا كاملا لأعلام المدينة والكتب التي ألفت عنها .
(٥) الخراطة ، البردة ، السيارات ، السبابة ، النماذج ، الخدادة ، الكهرباء ، الزخرفة والنقش ، النجارة ، التنجيد ، النسيج ، والسجاد ، والأعمال الصحية .
(٦) أفردنا مقالا بعنوان (مع أسرة الوادي المبارك) حول ذلك وتنصح القارئ بالرجوع إليه .

والجدير بالذكر أن تعاقب الأحداث وصروف الدهر كادت أن تذهب بالكثير مما حوته هذه المكتبات لولا أن سارع المعينون عام ١٣٨٠ هـ بإنشاء بناية كبيرة إلى جانب الحرم الشريف جمعوا فيها أشقاتها وأضافوا إليها الكثير حتى غدت بحق من كبريات المكتبات العامة وأغناها. أما المكتبات التي ضمتها المكتبة العامة هذه فهي : مكتبة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وهي تحتوي على (٦٦٠) كتابا بين مصاحف شريفة وكتب فقه وتفسير وغيرها كما تحتوي على (٨٨١) مخطوطة في المواضيع نفسها . ومكتبة الشفاء وهي تحتوي على (١٠٦) مجلدات مطبوعة ومخطوطة في شتى المعارف والعلوم . ثم مكتبة الساقزي التي تحتوي على (٤٧٧) مجلدا مطبوعا و (٤٤٩) مخطوطة بين كتاب ومجموعة رسائل . ومكتبة عمر حمدان . وهي حديثة العهد إلى حد ما . وتحتوي على (٧٧٥) كتابا مطبوعا و (١٣١) مخطوطة . والمكتبة الاحمدية وفيها (١٢٤) مخطوطة و (٢٥٠) كتابا مطبوعا . والمكتبة القازانية وفيها (٣٥٦)



صناعة السجاد تحتاج إلى خبرة ومهارة ، ويرى ها أحد طلاب المدرسة الصناعية الثانوية في المدينة المنورة منهمك في صنع هذه السجادة الجميلة .



جانب من أقسام المدرسة الصناعية المجهزة بأحدث الآلات ، ويبدو في الصورة بعض التلاميذ أثناء درس عملي .

المدينة الصحية

فيه جميع الفحوص المخبرية ، ويعمل فيه طبيب مختص وستة مساعدين ، وقسم للجراحة يديره عدد من الجراحين ، وقسم مستودعات الأدوية الذي يحوي كميات من أصناف الأدوية والعقاقير الطبية مما يوزع مجاناً على مئات المراجعين يومياً ، وقسم لعلاج الأنف والأذن والحنجرة والعيون ، وبنك الدم . ويتسع المستشفى لمائتين وخمسة وعشرين سريراً وفيه تسع عيادات تستقبل المرضى طوال ساعات الليل والنهار .

أما مستشفى الولادة وأمراض النساء فقد أسس عام ١٣٧٢ هـ ، وهو يضم ٤٨ سريراً وتضاف إليه حالياً أجنحة أخرى لجعله يتسع لمائة وخمسين سريراً . وفيه جراح مختص بأمراض النساء وست قابلات وممرضات ، وهو يقوم برعاية الأمومة والطفولة في المدينة . ومن الجدير بالذكر أن الحالات المستعصية التي تستدعي جراحة معقدة تحول منه إلى مستشفى الملك لكونه أكثر تجهيزاً واستعداداً لاستقبال مثل هذه الحالات ومعالجتها .

وعلى بعد ستة كيلومترات خارج المدينة ،

تشرف مندوبية وزارة الصحة في المدينة المنورة بإدارتها النشطة على جميع شؤون الصحة ومرافقها من مستشفيات ومستوصفات وعيادات وعلى سير العمل فيها بانتظام وإخلاص . وفي المدينة حالياً ثلاثة مستشفيات عامة هي مستشفى الملك ومستشفى الولادة وأمراض النساء ومستشفى الحميات (وهو في طور الانشاء) ، وفيها مستوصفات منتشرة في مختلف أحيائها السكنية لجعل الدواء في متناول الجميع دون كلفة أو عناء .

ويعتبر مستشفى الملك من أهم المرافق الصحية في المدينة ، وهو يقع في حي باب الشامي ، ومبناه قديم ، إلا أن إضافات مستحدثة قد أضيفت إليه . ويبلغ عدد أطباء هذا المستشفى (٢٦) طبيباً وطبيبة بين اختصاصي وطبيب عام . ويتناوب العمل فيه أربعون ممرضاً وممرضة ، وفيه قسم للأشعة يعمل فيه طبيب مختص وثلاثة فنيين . كما يشمل المستشفى على مختبر تجرى

كتاباً مطبوعاً و (٢١٦) مخطوطة ، ومكتبة الجبرت وتحتوي على (١٠٥) كتب بين مخطوط ومطبوع ، والمكتبة العرفانية وتحتوي (١٣٥٠) مجلداً بين مطبوع ومخطوط ، ثم المكتبة العامة الحديثة التي تضافرت على أغنائها بالكتب وزارة الحج والأوقاف وبعض الهيئات الرسمية والأفراد ، وهي تحتوي الآن على حوالي (٥٠٠٠) مجلد وهي بحق ماثرة من مآثر البلد الكريم . وتضم هذه البناية أيضاً قاعة مطالعة فسيحة ومكتبا يقوم موظفوه بحفظ سجلات المكتبات المذكورة . والكتب والمخطوطات المحفوظة في هذه المكتبات لا تعار أبداً خارجها وإنما يأتي من يرغب في قراءتها إلى قاعة المطالعة فيقرأ أو ينسخ ما شاء منها .

وعلى مقربة من بناية المكتبة العامة ، وفي مبنى عريق أنيق . تقوم مكتبة شيخ الإسلام المرحوم عارف حكمت التي أسسها عام ١٢٧٠ هـ ، ونمت وازداد عدد كتبها بعد وفاته حتى أصبحت تحوي حوالي (٥٠٠٠) كتاب بين مخطوط ومطبوع في شتى العلوم من فقه وتفسير ولغة وتاريخ وأدب وفلك ورياضة . ومن الجدير بالذكر أن الجامعة العربية قد صورت إحدى وستين مخطوطة مما تحويه هذه المكتبة ليتم تحقيقها وطبعها على نفقتها الخاصة . وأقدم مخطوطة في المكتبة هي مخطوطة الأوائل للعسكري وقد تم إكمالها عام ٣٩٥ هـ . هذا ، ولا تخلو قاعة المكتبة من طلبة العلم والمعرفة ممن يفدون إليها من شتى المدن والأمصار . يقضون فيها الساعات يردون منها العذب ويعتفرون من معينها الذي لا ينضب .

وعلاوة على ذلك توجد في الحرم الشريف مكتبتان تسمى أولاهما مكتبة الحرم الشريف ، وهي تحتل الآن الركن الشمالي الغربي عند باب عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وتضم حوالي (٦٠٠٠) كتاب بين مطبوع ومخطوط ، وتعرف الأخرى باسم المكتبة المحمودية نسبة للسلطان محمود العثماني وهي تحوي حوالي (٦٠٠٠) كتاب أيضاً وفيها مخطوطات يقال إن السلطان كتبها بخط يده .

وفي المدينة المنورة بضع مكتبات حديثة تحوي الكثير مما ترمي به المطابع إلى الأسواق من نفائس الكتب مما يجعل النتاج الفكري في العالمين العربي والإسلامي في متناول الراغبين من أبناء المدينة أو الوافدين إليها من شتى ديار العروبة والإسلام .



الآلات الميكانيكية من جرارات ومخاريط وغيرها هي عماد الزراعة الحديثة ، ويبدو في الصورة جانب من مزرعة حديثة قرب المدينة المنورة كما يبدو في أقصاها جانب من جبل أحد .



في محطة تربية الدواجن التابعة لمديرية الزراعة في المدينة المنورة عشرات الأبقار الأجنبية والمحسنة ، ويرى هنا جانب منها في إحدى الحظائر المظلة .



عملية معقدة يجريها جراحو مستشفى الملك في المدينة المنورة .



خبير زراعي من موظفي المديرية يشرح لأحد المزارعين طريقة مكافحة الآفات التي تتعرض لها بعض الأشجار في مزرعته .

وعند «آبار علي» حيث الهواء النقي والهدوء التام، بني مستشفى الحميات وهو يتسع لخمسين سريراً، ولم يباشر بعد باستقبال المرضى، ومن المؤمل أن يتحقق ذلك في وقت قريب إن شاء الله.

وعلاوة على المستشفيات والمستوصفات، توجد في المدينة المنورة فرق متنقلة للوقاية والتطعيم، وفرق أخرى للكشف الصحي على الفنادق والمطاعم والمقاهي والعاملين فيها، كما تزاول المندوبية أحيانا الطب الشرعي عندما يطلب إليها ذلك، والاشراف الصحي على الحجاج الوافدين الى المدينة وهو من أضخم تيعاتها السنوية وأوسعها نطاقا. وبالاجمال نستطيع القول أن منطقة المدينة المنورة تتمتع بخدمات ومرافق صحية ممتازة تسهر ادارتها على المحافظة على صحة المواطنين وتبذل جهودا دائمة من أجل ذلك.

في المدينة المنورة مركزان للعمل الاجتماعي ودار تربية اجتماعية (ميتم) تشرف على سير أعمالها وزارة العمل والشؤون الاجتماعية. أما المركزان فهما مركز التنمية الاجتماعية ومركز الخدمة الاجتماعية. وعملهما يقوم على اقناع



طبيب أسنان يفحص احد المرضى في العيادة لتحديد العلاج اللازم له. تصوير: عبد اللطيف يوسف

الأفراد بحاجة مجتمعهم الى الاصلاح، واشراكهم في التخطيط والعمل وتجميع خدمات مختلف الدوائر وتنسيقها لتتضافر مع الجهود الأهلية في تنفيذ الخطط المرسومة للنهوض بالمجتمع.

ويقوم مركز التنمية بعمله بين فئات الفلاحين بشكل خاص، بينما يزاول مركز الخدمة نشاطه في أحياء المناخة والمنشية والطيار السكنية لافتقارها لمثل خدماته. وتنحصر نشاطات مركز التنمية في أربع وحدات هي: الوحدة الاجتماعية، والوحدة الثقافية، والوحدة الزراعية، والوحدة الصحية. وتقوم هذه الوحدات باسداء خدماتها الجلية الى أفراد المجتمع بأشراف الاختصاصيين في هذه المجالات. ففي الناحية الاجتماعية تقوم الوحدة المعنية باصدار النشرات والقاء المحاضرات لبث روح التعاون ونشر الوعي الاجتماعي بين الأفراد، كما حققت انشاء جمعيتين تعاونيتين هما جمعية التموين المنزلي التعاونية لموظفي الدولة، والجمعية التعاونية الزراعية المتعددة الأغراض. وقد أقبل الجمهور على المساهمة في زيادة رأسمال كل من هاتين الجمعيتين حتى قويتا وازدهرتا بفضل انتشار الوعي التعاوني.

ومن ناحية أخرى تحتل الوحدة الزراعية في المركز جناحا خاصا تحتفظ في غرفه بشتى المعدات والبذور، وبنشرات وكتب زراعية لاطلاع المزارعين عليها، وبمعرض زراعي دائم يلتق النظر. والوحدة تعنى بتثقيف المزارعين وتنويرهم حول الأساليب الزراعية الحديثة. وتأخذ الوحدة الثقافية على عاتقها مكافحة الأمية بين الذكور والاناث، وتنظيم الخدمات المكتبية والندوات والمحاضرات واعداد وسائل الايضاح والنشرات والملصقات وتوزيعها على أفراد الجمهور. أما خدمات الوحدة الصحية فتشمل العلاج بواسطة طبيب له عيادة في جناح الوحدة، والارشاد بواسطة مرشدين صحيين يعملون على انماء التوعية الصحية فسي نفوس الأفراد والأهليين.

هذا. وقد أقام المركز معرضا دائما للأشغال النسوية، استحق اعجاب كل من شاهد نماذجه. ومعروضاته الجميلة كانت كلها من صنع العضوات المتفعات بخدمات المركز من تعليم خياطة ونسج وتطريز ومواضيع أخرى تدرسها الاختصاصيات الاجتماعيات اللواتي يعملن في المركز.

وتكاد تكون نشاطات مركز الخدمة الاجتماعية مشابهة لنشاطات مركز التنمية إلا أنه يشارك في خدمة السيدات مشاركة فعالة عن طريق «دار الفتاة» التي تقوم بأعمال محو الأمية وتعليم التدبير المنزلي وانشاء الجمعيات التعاونية النسائية ورياض الأطفال، كما أن المركز يحوي قاعة لعرض الأفلام التثقيفية والصحية والزراعية بين حين وآخر ليستسي للمتفعين بخدمات المركز مشاهدتها والمشاركة في التعليق عليها وتحديد طرق الاستفادة مما يرد فيها.

أما دار التربية الاجتماعية فقد أسسها عام ١٣٥٢ هـ المحسن المرحوم عبد الغني دادا لتكون مأوى لأيتام المدينة، إلا أنها آلت عام ١٣٨٢ هـ الى وزارة العمل والشؤون الاجتماعية.

وهي حاليا تقدم المأوى والطعام واللباس لمائة واحد وعشرين تلميذا تنقلهم من الدار الى مدارسهم حافلات خاصة. كما تضم مكتبة وغرفة ألعاب وتشرف على ادارتها هيئة من المربين الأكفاء الذين يعملون دائيين على اشعار الأيتام بحنان الأبوة والانتماء الى أسرة المدرسة. وقد رعت الدار خلال عمرها الحافل عددا كبيرا من الأيتام الذين أهلتهم فأخرجتهم الى المجتمع شبابا من خيرة أفراده العاملين في مختلف الوظائف والحقول.

ومن ألوان الحياة الاجتماعية التي تحفل بها المدينة المنورة، الأندية الرياضية والترفيهية التي يلتقي فيها الموظفون والشباب لقضاء ساعات فراغهم في ممارسة الألعاب الرياضية المختلفة. وأهم هذه الأندية نادي أحد الرياضي وهو أقمها، ونادي العقيق، ونادي النهضة، ونادي المدينة الرياضي. وأهم الألعاب التي يمارسها أعضاء هذه الأندية كرة القدم، وكرة السلة والكرة الطائرة، كما تعقد في الأندية ندوات ثقافية وحفلات سمر ومباريات ودية ودورية مما يوفر للشبية جوا اجتماعيا وترفيهيا وثقافيا ملائما.

وبعد، فالمدينة المنورة تمر هذه الأيام بمرحلة عمران وتقدم زاهرة نأمل أن تؤتي أكلها في الأعوام القليلة القادمة، فترى المدينة تزدهر بأبهى الحلل وتظهر بأجمل المظاهر مما يليق بها كمنارة هدي واشراق، ومعرض لتاريخ أمجد حضارة انتشرت منها الى ربوع العالم، فملاحتها عدلا وسلاما.

عبد المحسن

ذكريات رمضان

بفلم الاساذ عبد العزيز الرفاعي

وهو في غيرهما من المدن مختلف عنه فيها . أما ذكرياتي الخاصة عن رمضان ، فانها تقتارب كثيرا مع ذكريات لداتي ممن نشأوا في مكة المكرمة . صمت كما صاموا من وراء الزير . ثم أخذت أترج في الصيام أمام الزير . ثم ألقت الصوم وتعودته في سن مبكرة . فتمت بأطياب طعام الصائمين في الفطور .

في المرحلة الابتدائية أوزع ليالي السبت السهرة على مرحلتين . المرحلة الأولى للحرم والمذاكرة وصلاة التراويح . وكان أمام الحرم على أيامنا فضيلة الشيخ عبد الظاهر أبو السمع رحمه الله . وكان ذا صوت رخم ، وتلاوة جميلة . فكانت صلاة التراويح خلفه متعة روحية . لا تعد لها متعة . أما المرحلة الثانية فللعب في « الحواري » والمشاركة في « الزومال » . وكان لنا من اللعب فنون . من « الاستغماية » الى « اللاندي » الى « بابونا جانا الذيب » الى « الكبت » الى « الضاع » وذلك في ليالي القمر ، أو تحت « اترك » البلدية .

ولكل من تلك الألعاب شرح يطول . فالزومال نوع من الفلكلور الشعبي الجميل . وهو عبارة عن أغاني جماعية . يؤدبها الأولاد الذين ينطلقون خلف منشد - جميل الصوت في العادة ينشد كلمات « الزومال » فيرددونها من بعده . وكانت لنا أناشيد شعبية كثيرة من أمثال « سري الليل يا سبلان » وهذا الشيد متأثر بالبيئة المكية التي تختلط بكثير من الجاليات الأجنبية . و « ايش جاب الكرتينا في بلدنا ؟ في بلدنا كرتينا ؟ ! » و « جينا من الطائف .. والطائف رخا » و « يا سارية خبريني » .

وتستهدف بعض هذه الأناشيد نقدا اجتماعيا ، أو غزلا . بينما قد تخلو بعضها من أي هدف

هذا الزير . كان يخفي خلفه أي طفل من الصغار . المتظاهرين بالصوم ، لينتزع في خفية قليلا من الماء يبل به فؤاده الصائم . وقد يستعمل الطريقة نفسها للحصول على شيء من الطعام . ثم يفتخر قبل ذلك وبعده بأنه من الصائمين .. أعني الصائمين عن الصوم .

ذكريات الصيام اذن تبدأ من هذا العهد .. وهي تنداح في عهد الصبا . حينما يبذل الصبيان جهودا حقيقية للصوم . أو لمحاولاته الأولى . ثم تكبر في ليالي رمضان في الشباب الباكر . ففي رمضان اعتاد الناس السهر . واعتادوا بعد انقضاء صلاة التراويح أن يلتصقوا وسائل للتسلية يقضون فيها سهراتهم . منهم من ينقطع الى العلم وحلقاته . ومنهم من ينطلق الى الأسواق .. وللأسواق في رمضان بهجة ورونق . فالخوانيت تستعد للعيد . وتزين . وتغص بأطياب الطعام . وأطياب اللباس ، وأطياب الحلوى . خاصة في الليالي الأخيرة من الشهر المبارك . على مشارف العيد . ومنهم من يقضي السهرة مع شلته . لاهيا لاعبا . أو متنديا مستفيدا ..

وقد دخلت ليالي رمضان التاريخ العلمي والأدبي ، فدونت بها محاضرات في العلوم الدينية والأدبية . وتحفظ المكتبة العربية بعدد من الكتب عن رمضان . ووظائفه . وعباراته . وأدبياته . عني بذلك القدامى . وعني به المحدثون . حتى يصح أن نقول أن هناك مكتبة رمضانية ...

ذكريات الطفولة والصبا . والشباب الباكر ، تتخذ الذكريات الجادة طريقها الى حيوات الناس . وإذا كانت هذه الذكريات تمثل قاسما مشتركا بين الناس جميعا . فانها تختلف في كل فرد عنه في غيره باختلاف ظروفه الخاصة . وظروف البيئة التي ينشأ فيها . والتقاليد التي يألفها . كما تحفظ كل مدينة بحياة رمضانية خاصة قد لا تتوفر في الأخرى . فرمضان في مكة المكرمة مثلا غيره في المدينة المنورة . وان تشابهت الحياة كثيرا في الحرمين .

بين الشهور . شهر ذو شخصية رمضان مميزة . تماما كما يبرز رجل بين الرجال فتكون له شخصية تجعله مميزا بين زملائه بحيث يكون مرموقا مهابا مسموع الكلمة . رمضان لا يأتي نهاره كالنهارات . ولا ليله كالليالي . وان كانت شمس هي الشمس . وليله هو الليل . وقمره هو القمر .

لقد جعل رمضان من النهار شيئا مختلفا عنه في الشهور الأخرى . وكذلك جعل من الليل . ومن القمر . ومن الناس . ومن كل شيء أحاط به .

انه يوقظ في الناس معاني غافية أو تكاد . ويبعث في قلوبهم روحا من أرواح القداسة . تغير من نفوسهم . ومن عاداتهم . ومن مواعيدهم . ومن معاملاتهم . ومن علاقاتهم . لتجعل من كل ذلك شيئا مختلفا .

انه تغيير فذ لروتين الحياة اليومية . فقد اعتاد الناس أن يملوا الأمكنة فيغيروا منها . ليحصلوا على نوع من التجديد يروح عن نفوسهم ويدفع عنها السأم . وكذلك الحال بالنسبة لرمضان في الأزمنة . فهو تجديد زمني يدفع عن النفوس سأم الرتابة اليومية . عدا الجانب الروحي . الذي هو الأصل .

اما وأن رمضان شهر ذو شخصية . فقد كان وما زال سبب ان شاء الله محل الحفاوة والترحيب . يرتبط ذكره دائما في حياة الناس بمجموعة كبيرة من الذكريات . تنشأ معهم وهم صغار . وتنمو بنموهم . حتى يدخلوا في عداد الصائمين بحق وحقيق . أقول بحق وحقيق ليخرج أولئك الصغار الذين تعودنا أن نطلق عليهم « الصائمون من وراء الزير » .

وهذه التسمية قد لا تكون واضحة الآن في بعض المجتمعات التي اختفى « الزير » من حياتها . فلم يعد معروفا ولا مألوفا . والزير هو الاناء الفخاري الذي اعتاد السقاء أن يودع فيه الماء المستعمل للشرب وغيره من الأغراض .

مطلع الفجر

نظم الشاعر محمد هارون الملو

في الدهر ، وهي بتيمة الدهر
بالنور ، بالايمن ، بالذكور
بالخير ، والتفحات ، والبر
بالبشريات ، عليّة القدر
وكانها موصولة العمير
بثّ الهوى ، ولواعج الصبر
تهفو اليه عرائس الفكر
بذوائب قدسية خضر
فلها جلالة موكب البلر
بين الزمان ، وروحها يسري ؟
فيه الضفاف سنية البشر
متألق ينهل كالقطر
بالحمد ، والتسبيح ، والشكر
هي ليلة بسامة التفر
وتظلّ حتى مطلع الفجر

ما كان أعظم ليلة القدر
الله جلّالها بآيتــــه ..
واختصنا منها برحمته
هي آية في الدهر ساطعة
تمتدّ في الأيام بهجتها
تحيا القلوب بها ، فتودعها
وساؤها ، كصباحها ألق
وتظلّ في الدنيا بروعتها
شرقت بتشريف الاله لها
أنسيت رباها ، وقد عيقت
والنور رقاف تكاد تـرى
وعلى المآذن ، والقباب سنا
وترى القلوب لربها هجعت
هي ليلة موصولة البر
وترفّ بالحسنى بشائرها

يَوْمَ بَدْرٍ

وكبريائها في ألف ، كل منهم شاكي السلاح كامل العدة . وخرج محمد صلى الله عليه وسلم في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا وهم بحاجة الى السلاح والعتاد . وكان يوم بدر يوم الفرقان اذ استبان فيه الحد الفاصل بين الكذبة والأدعاء المعتصمين بالباطل المجتمعين على الاثم وبين المؤمنين بربهم الواثقين بنصر خالقهم .

وفي ليلة بدر يشير محمد عليه السلام الى الأرض قائلا : « هذا مصرع فلان من المشركين ان شاء الله تعالى غدا » ، ثم يشير الى جزء ثان من الأرض قائلا : « وهذا مصرع فلان ان شاء الله تعالى غدا » . ثم يشير الى جزء آخر من الأرض ويقول : « وهذا مصرع فلان ان شاء الله تعالى غدا » . هو الذي بعثه بالحق شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، فما أخطأوا تلك الحدود ، ولا جاوزوا تلك المواضع وصاروا يصرعون عليها واحدا بعد واحد . وألقوا في حفرهم وأقبل النبي عليهم يناديههم بأسمائهم ويقول لهم : « هل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ فاني وجدت ما وعدني ربي حقا » .

غزوة بدر في صبيحة يوم الجمعة في السابع عشر من شهر رمضان للسنة الثانية من الهجرة . ولجلال هذه الغزوة وسمو شأنها سماها القرآن الكريم (يوم الفرقان) و (يوم التقى الجمعان) ، وسماها المؤرخون بأسماء مختلفة تدل على خطورها وعظم شأنها فسموها (غزوة بدر الكبرى) و (غزوة بدر العظمى) و (يوم وقعة بدر) وبعضهم سماها (يوم البطشة الكبرى) اشارة الى قوله تعالى يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون .

ويوم بدر كان بحق يوم الفرقان ، فرق الله فيه بين الحق والباطل .. فرق فيه بالحق بين القلة المسلمة المستضعفة في الأرض ، وبين الكثرة المشركة الباغية على العباد . فإذا الدنيا ترى ذلك المستضعف الدليل وقد أصبح عزيزا منتصرا كريما (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة) . وكان يوم بدر يوم الفرقان بين الغني المستكثر بماله وجاهه وشوخته وسلطانه وبين الفقير المؤمن بربه ، والمدرع بيقينه وعقيدته وإيمانه . وقد خرجت قريش بخيلها وشبابها ونسائها وسلاحها وزهوها

بظهر الاستاذ صلاح البكري

اشتد أذى المشركين على الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه فهاجر من مكة الى المدينة بعد أن هاجر أكثر المسلمين . وفي المدينة بدأ الرسول والمسلمون يبنون دولتهم بعد أن تنفسوا الصعداء من الأهوال التي لحقت بهم على أيدي المشركين . وعلم الرسول أن المشركين في مكة استبدوا بممتلكات المسلمين وانهم ما زالوا يترصبون به وبأصحابه الدوائر لذلك فكر محمد صلى الله عليه وسلم في التعرض لقوافل المشركين المترددة بين مكة والشام . فأرسل سرايا والطلائع ليشعر قريشا بأن المسلمين لم يذلوا بسبب الهجرة ، وانهم على الرغم من قلة عددهم وعدتهم أقوياء أعزاء .

وأرسل النبي عمه حمزة بن عبد المطلب على رأس ثلاثين فارسا من المهاجرين الى (العيص) ليعترض قافلة في طريقها الى الشام بقيادة أبي جهل وكان ذلك في شهر رمضان . وفي شوال بعث النبي عبيدة بن الحارث ومعه ثمانون رجلا الى مكان يسمى (ثنية المرة) للاستطلاع . وخرج النبي بنفسه في طليعة السنة الثانية الى قرية (ودان) وعقد مصالحة مع بني ضمرة . وفي جمادى الأولى بلغ النبي أن قافلة مكونة من ألف بعير لقريش ذاهبة الى الشام وفيها ما قيمته خمسون ألف دينار ، فخرج ومعه نحو المئتين الى (العشيرة) من (بطن ينبع) ولكن القافلة مرت قبل وصوله . وقد حالف الرسول في هذه السرية (بني مدلج) . وفي رجب أرسل النبي عبد الله بن جحش الأسدي مع فريق من المهاجرين وأعطاه كتابا مختوما وأمره ألا يفرضه الا بعد يومين من مسيره . وفتح عبد الله الخطاب بعد يومين فإذا به « إذا نظرت في كتابي

هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد لنا قريش وتعلم لنا من أخبارها » .

اشتبك عبد الله وزملاؤه مع قافلة من قريش وانتصر وغنم بعض الغنائم ، فغضب الرسول من فعلهم هذا وقال لهم « ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام » . وأرسل النبي طلعة بن عبد الله ، وسعيد ابن زيد ليستطلعوا أخبار القافلة التي يقودها أبو سفيان من الشام الى مكة . وعندما نزل الصحايان في (الحوراء) علما باقتراب القافلة فسارعا بأخبار الرسول عليه الصلاة والسلام .

وخرج الرسول في الثامن من رمضان ومعه ثلاثمائة وخمسة ، معهم سبعون بعيرا . ولما بلغوا المكان الذي كان مقدرا أن تمر منه القافلة علموا أن أبا سفيان قد نجا بها وأنه سلك طريقا آخر غير مألوف . وقد أرسل أبو سفيان ضمضم ابن عمرو الغفاري الى مكة ليخبر أهلها بأن محمدا وقومه يترصبون بالقافلة للاستيلاء عليها . ووصل ضمضم الى مكة ووقف فوق بعيره بعد أن شق قميصه ، وجعل يصيح بأعلى صوته : (يا معشر قريش يا أهل مكة اللطيمة اللطيمة ، أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه لا أرى أن تدركوها .. الغوث الغوث) .

وثارت نفوس قريش وأجمعوا أمرهم على الخروج ، ما عدا أبي لهب فقد أناب عنه العاصي بن هشام في مقابل أربعة آلاف درهم كان هذا مدينا بها لأبي لهب . وأراد أمية بن خلف أن يقعد ولكنه خاف من الفضيحة ، فقرر الخروج لمقاتلة محمد وأصحابه بعد أن جاءه عقبة بن أبي معيط ووضع معجزة فيها بخور بين يديه ، وقال له مستهزئا يا أبا علي استجمر فانما أنت من النساء . ثارت نفس أمية وخاف من العار وقال لمن حوله

ابتاعوا لي أفضل بعير في الوادي ، ثم تجهز وخرج مع الناس .

جموع قريش من مكة واتجهت نحو بدر ، وبلغ النبي خبر خروجها لغزو المسلمين وأبادتهم . فجمع أصحابه وقال مستشيرا ومثيرا : « ان قريشا قد خرجت من مكة للتنكيل بنا فما تقولون ؟ العير أحب اليكم من النفير » . فقال المقداد بن عمر : « يا رسول الله امض لما أمرك الله ، نحن معك . والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون . ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون . فوالذي بعثك بالحق نبيا لو سرت بنا الى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه . » فقال له رسول الله « خيرا » ودعا له به .

وعاد الرسول يقول لأصحابه مرة بعد أخرى : « أشيروا علي أيها الناس . » وفهم سعد بن معاذ الأنصاري غرض الرسول من تكرار سؤاله فقال له : « والله لكأنك تريدنا يا رسول الله » فقال النبي : « أجل » . فقال سعد : « يا رسول الله فقد آمننا بك ، وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا وموآثيقنا على السمع والطاعة ، ولعلك يا رسول الله تخشى أن تكون الأنصار ترى عليها ألا ينصروك الا في ديارهم ، واني أقول عن الأنصار وأجيب عنهم ، فاطعن حيث شئت، وصل جبل من شئت ، واقطع جبل من شئت ، وسالم من شئت ، وعاد من شئت ، وخذ من أموالنا ما شئت ، وما أخذت كان أحب الينا أخذه مما تركت ، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن نلقى بنا عدونا

غدا ، انالصبر في الحرب صدق في اللقاء .
لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا
على بركة الله . « فسر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، ثم قال : « سبروا وابشروا
فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين ،
والله لكأنني أنظر الى مصارع القوم » .
وأرسل النبي فريقا من أصحابه
للاستطلاع فوجدوا غلامين في واد
فأحضروهما الى رسول الله عليه الصلاة
والسلام فأخذ يسألهما عن عدد الخارجين
من قريش قال : « كم القوم ؟ » قال :
« كثير . » قال : « ما عدتهم ؟ » قال :
« لا ندري . » قال : « كم ينحرون كل
يوم ؟ » قال : « يوما تسعا ويوما عشرا . »
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « القوم
فيما بين التسعمائة والألف ثم قال لهم :
« فمن فيهم ممن أشرف قريش ؟ »
فذكروا له الكثيرين من أشرف مكة
وساداتها . فأقبل الرسول على الناس فقال :
« هذه مكة قد ألقت اليكم أفلاذكيدها » .
وسارت قريش الى موطن القتال ،
فارسلوا عمير بن وهب الجمحي يستطلع
لهم الأخبار ، وعاد عمير يقول للمشركين
عن المسلمين : « انهم ثلاثمائة أو
يزيدون قليلا أو ينقصون قليلا لا كمين
لهم ولا مورد ، ولكنهم قوم ليس لهم
متعة الا سيوفهم فلا يموت الرجل منهم
قبل أن يقتل رجلا مثله . »

نزول

الرسول بأصحابه عند أول
ماء قابلهم قرب بئر بدر ،
فجاء الحباب بن المنذر الى النبي وقال
له : « يا رسول الله أرايت هذا المنزل الذي
نزلته ، أهو منزل أنزلك الله فليس لنا أن
نتقدم عنه أو نتأخر عنه أم هو الرأي والحرب
والمكيدة ؟ » فقال عليه الصلاة والسلام :
« بل هو الرأي والحرب والمكيدة . » فقال
الحباب : « يا رسول الله فإن هذا ليس
بمنزل ، فانفض بالناس حتى تأتي أدنى ماء
من القوم فننزل ، ثم نغور ما وراءه من القلب ،

ثم نبني عليه حوضا فنملأه بالماء ، ثم
نقاتل القوم ونشرب وهم لا يشربون . »

كيف انتهت الفزوة !

وتراءى الجمعان واندفع الأسود بن
عبد الأسد المخزومي من بين صفوف
المشركين واتجه نحو المسلمين ليبلغ
الحوض الذي فيه الماء ، ولاحظه حمزة
ابن عبد المطلب وهو يتقدم نحو الحوض
فطعنه طعنة أصابت ساقه وعاجله بضربة
أخرى قضت عليه . وهاج المشركون وخرج
من صفوفهم عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن
ربيعة ، والوليد بن عتبة بن ربيعة وطلبوا
المبارزة من المسلمين . فخرج اليهم ثلاثة
من الأنصار فرفض المشركون أن يقاتلوهم
وقالوا : نريد أكفأنا من أبناء عمومتنا
(أي من أهل مكة) فنادى النبي صلى
الله عليه وسلم علي بن أبي طالب ،
وحمزة بن عبد المطلب ، وعبيدة بن
الحارث وأمرهم بمبارزة المشركين ، ففضى
الثلاثة المسلمون على الثلاثة المشركين دون
أن يصاب المسلمون بسوء ، عدا أن عبيدة
أصيب بجرح في ساقه . أما الرسول
عليه السلام فقد انحرف في الدعاء حتى
سقط رداؤه من فوق كتفه دون أن يشعر .
فقال له أبو بكر الصديق : « يا رسول الله
بعض مناشدتك ربك فإن الله منجز لك
ما وعدك . » ولكن الرسول استمر يدعو
الله أن يهلك المشركين وينصر المسلمين ،
وقال محرضا للقتال وواعدا بحسن الثواب :
« والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم
اليوم رجل ، فيقتل صابرا محتسبا ، مقبلا
غير مدبر ، الا أدخله الله الجنة » .
فقال عمير بن الحمام أخو بني سلمة ،
وفي يده تمرات يأكلهن : « بخ بخ ،
أفما بيني وبين أن أدخل الجنة الا أن
يقتلني هؤلاء . » ثم قذف التمرات من يده
وأخذ سيفه ، فقاتل القوم حتى قتل .

وهكذا شهد رمضان معركة دموية حامية
الوطيس بين الخير والشر ، بين الحق
والباطل ، بين الهدى والضلال . وجاء
النصر المبين عاجلا سريعا . لقد قتل من
المشركين كثيرون ، واستشهد من المسلمين
قليلون ، وغنم المسلمون غنائم كثيرة .
وجاء حكم الله في الغنائم بقوله تعالى
واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله
خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى
والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم
بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان ،
يوم التقى الجمعان والله على كل شيء
قدير . اذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة
القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم
لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله
أمرا كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينة
ويحيى من حي عن بينة ، وإن الله
لسميع عليم . اذ يريكم الله في
منامك قليلا ولو أراكم كثيرا لفشلتم
ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلم انه
عليم بذات الصدور .

واستشار النبي المسلمين في أمر الأسرى ،
فأشار عمر بن الخطاب بقتلهم لأنهم
روؤس الشر وأئمة الضلال ، وأشار
أبو بكر الصديق بفدائهم ، وأيده الرسول
في ذلك ، فأعلن أن كل أسير يستطيع
أن يفدي نفسه بمال ، أو بتعليم عشرة
من المسلمين القراءة والكتابة . وأطلق
الرسول سراح بعض الأسرى العاجزين .
ولكن القرآن الكريم جاء مؤيدا لرأي
عمر وبخلاف ما حدث فقال (ما كان
لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في
الأرض . أتريدون عرض الدنيا والله يريد
الآخرة والله عزيز حكيم) .

لقد كانت غزوة بدر فتحا مبينا ونصرا
عظيما في تاريخ الاسلام ، كانت
بداية انطلاق في نشر الدعوة وبناء
الدولة الاسلامية ، وكانت تزكية
للمجاهدين فيها .

فحص النفس للأدب النسوي

بفلم البيرة بمجلة العادلي

معها ويتنمّش لانتعاشها ، كأنها حاضرة أمامه ماثلة أمام ناظريه .

نقد أدب المرأة الى قلب القارئ ،
تميّز أدبها بخاصيته الجديرة بالاعتبار .
على أن الأدب النسوي لم يزل يتأرجح بين الدفء والصقيع ، لعدم اعتماد المرأة على مواهبها اعتمادا كاملا دون مشاركة الرجل ، بدليل أن الصحف تطالعنا كل يوم بمقالات تحمل أسماء محترفات أوهاويات ، عدا ما تخرجه دور النشر من انتاجهن فإذا استفتينا القراء في مدى تأثيرهم بما يقرأون وهل تراه يحمل أنفاس المرأة حقا ، لجاءت النتيجة في ظنّي مشعرة بأن المرأة لم تستطع حتى الآن أن تطلق أنفاسها العيقة على صفحات السورق .

وأحيانا تتأثر الدنيا جميعا بأدب كاتبة بعينها . وقد لا يكون في أدبها جديد بالنسبة للعالم ، ولكن الجديد فيه أنه كشف شيئا خفيا من الطوايا أو كشف المجهول من أمر المرأة ، أو كشف

فخاصة أدبها اذن هي أن ينبع من أعماقها رجاء أن يعكس انطباعات الأنثى بأخلاقها العالية وروحها اللامحة ، معترّة بخواطرها الصادقة الصريحة ، غير آبهة بما يثيره التطور من قلق وجداني أو اضطراب فكري .

ما تكتبه المرأة مكرّرة لما سبق
أن نشره القدامى أو يكتبه
المحدثون - كل بأسلوبه - حتى ولو تميّز
ببحث جديد ، لا يمكن أن ينطبع
بطابع أدبها النسوي الا اذا نبع الباعث
على البحث من أعماقها ، مستندا الى انفعالاتها ، متأثرا بانطباعاتها ليراه القارئ ماثلة بين سطور ما تكتب باسمه أو دامعة ، شجاعة أو مترددة ، خيرة أو غير خيرة ، متحفظة أو متحررة . ولا بد للقارئ أن يلح في ثنايا كل كلمة من كلماتها نظرة من نظراتها الخانية أو المتعطشة ، ويشعر بأنفاسها ، ويتلمس مشاعر الأنثى الواجمة أو الراجفة الساخطة أو الراضية ، فيتنفض

للأدب النسوي تأثير مباشر في محيط العالم العربي ، على الأقل ؟
مرّ بخاطري هذا السؤال وأنا أتأهب لكتابة هذا البحث ، وبدل أن أقنع نفسي بجواب ما تساءلت مرة أخرى هل للأدب النسوي خاصية يلتزمها ؟ اذ المفروض أنه ينبع من أعماق المرأة ويلتزم بسماحة نفسها وعمق مشاعرها وقوة تصويرها ونزاهة خواطرها وصدق تقديرها وسلامة تفاعلها مع المجتمع الذي تعيش فيه ، وبعدها عن التصنع والتقليد ، وافتتانها برسالتها التي خلقت من أجلها ، فتكون لبيتها ولوطنها وللعالم كله وحيا والهاما على نحو تباهي به بيتها ، وتكون كذلك قادرة على الابتكار ، ووسيلتها الى ذلك عذوبة بيانها وسحر أسلوبها وموسيقى معانيها وصراحة آرائها ، فتنفذ الى كل قلب متغلغلة في أعماق الفرد وأعماق المجتمع لتكشف ما وراء المجهول كي تصلح وتدوي ، فتكون بذلك كبضع الطبيب فيه ألم ولكن فيه شفاء .

الحنان الزاخر . أو كشف تضحية أم عانت من صروف الدهر فوق ما يعانیه الرجل ، أو كشف عن مقاييس الوفاء والنضال والمحبة وصور مآسي الحياة . أو كشف عن مشاعر ابنة بارة أو خواطر فتاة شريفة بائسة أو سيرة ابن عاق أو بارّ بوالديه ... المهم أن تلج الكتابة أبوابا لم يطرّقها الرجل من قبل ولا يستطيع أن يطرّقها بنفس الدقة لأنه يعيش بمعزل عن الأحاسيس التي خالجت قلب الكاتبة ، كما أنه لا يستطيع أن يفكر بعقل المرأة مهما أوتي من رهاقة الحس أو القدرة على التصوّر .

فهل سجل الأدب النسوي انطباعات المرأة في شتى ميادين الحياة تسجيلا موصولا بالخلود ؟ يبدو أن الجواب على هذا التساؤل أدعى إلى النفي . ولذلك يأخذ علينا الرجال قصورنا الأدبي وكان في مقدمتهم العقاد رحمه الله . وقد يكون لهم عذر في ذلك . لأن ما ينشر من الأدب النسوي يقل فيه ما يثبت أنه من نبع امرأة ، إذ المشاهد أن أدب فتياتنا المتأدبات تجول فيه أقلام الرجال وتصل . وما دام هذا سبيل الشهرة فلا بأس عند بعضهم من التضحية بالشخصية ، وهي تضحية غالبة .

من ينكر أنه من الخير للحركة الأدبية والمجتمع الانساني أن يكون للأدب النسوي مكان مقدور في عالم الفكر والثقافة وأثره المباشر في السمو بالقيم الانسانية الأصلية .

فالمرأة بحكم فطرتها وطبيعة مزاجها أرق من الرجل عاطفة وأصفى روحا ، كما أنها أوفر منه فهما للجمال الذي ينبثق منه الفن على اختلاف ألوانه . إذ لولا التذوق الفني لما تمخض عقل فنان عن ابتداع أو قلبه عن مشاعر تفيض بالروعة والجلال . والمرأة في مجموعها ، على أي صورة كانت . جزء من الجمال الكلي الذي خلقت به ، وهي لذلك أقدر على تصويره وأجدر بأن تتولاه وتعنى بدراسته واستغلاله لتجميل الحياة . لذلك فمن أقدح الخسائر على الحركة الأدبية أن تبقى هذه الخصائص العالية والمواهب الكريمة معطلة في المرأة إذا

انصرفت عن الأدب ولم تحاول أن تشبع بفنونه تشبعا كاملا يورثها النبوغ والاجادة ويظهر السمات الأنوثية باهرة في الميدان الأدبي .

فإذا التزمت المرأة بخصائص طباعها في أدبها ، أثمر هذا الأدب ثمارا كفيّلة بتغذية الأرواح المتعطشة إلى الجمال والكمال ، ولا تلبث حتى تصفي على الدنيا كلها ما يلهب حماسة الرجل ويدفعه إلى التماس أبواب جديدة يطرّقها في ميادين الأدب ويفتح بها فتوحا ممتازة في هذا المضمار .

ما يساعد الأدب النسوي لتكون له قيمته الممتازة ومزنته الرفيعة وليكون خير أداة لتهديب النفس وترقية العاطفة وخلق جيل تعتز به الانسانية هو قدرة المرأة على التصوّر . صحيح أن لكل امرئ طاقة تصور تعبته على العمل في الميدان الذي يألفه ويهواه ، لأن الفنان لا يستطيع أن يكتب مقالا أو يضع قصة أو ينظم قصيدة أو يرسم لوحة أو ينحت تمثالا دون أن يتصور موضوعه قبل تكوينه ، فالتصور عامل مصاحب لكل ألوان الفنون ، ويحتاج إليه الفنان لينجح في عمله . ولكن المرأة أقدر على تفهم خفايا النفس الانسانية لقدرتها على تصور هذه الخفايا بمشاعرها المرهفة . وهذه الطاقة التي استودعها الله إياها تنقل إلى ذهنها دقائق الأمور من صور الحياة ، وتنقلها هي بالتالي إلى الحياة بعد أن تعكس أضواء تلك الرسوم في صور تختلف باختلاف استعداد كل كاتبة . فقد تبدو في صور شعرية أو قصصية أو في رسوم تتكلم بالظلال والأضواء أو في ألحان منغمة تحكي أفايصص الدنيا من بدء الخليقة إلى يوم الناس هذا .

وتتميز طاقة التصوّر التي تنفرد بها المرأة بأنها ذات قوة ديناميكية هائلة تظهر في العمل الأدبي أجمل ما يكون الظهور . فيقدر استغلالها استغلالا سليما يكون النجاح في النهاية . ويقدر سوء استغلالها يظهر النقص . هذا إلى أن المرأة قادرة دائما على ضبط معايير تصورها وفقا لزخم مشاعرها .

يتميز أدب المرأة بأنه مستمد من واقع حياتها . وهي تعيش أحيانا مع نفسها على حساب الحياة ، أو تعيش مع الحياة على حساب نفسها . وفي الحالتين تستمد مادتها من الحياة مباشرة لذلك يستشعر القارئ لأدبها نكهة خاصة إذا كان صورة مطابقة لانفعالاتها وتفكيرها وحسها ، كما أنه يحس باحساس يغمره ويدنيه من الواقع الذي صورته ، ويتجاوب مع هذا الأدب تجاوبا يختلف اختلافا بينا عن تجاوبه مع أدب الرجل . وهذا لا ينفي أن هناك كاتبات ما زلن مفتقرات إلى خصائص الأدب النسوي بسبب تأثرهن بأدب الرجل وعدم استقلالهن بشخصية أدبية متميزة .

على أن الواقع يؤكد أن لكل أديبة عربية اتجاهها الخاص في الكتابة وفي معالجة القضايا الأدبية والفكرية ، إذ أن لكل منهن ثقافتها الخاصة وتفكيرها المستقل . فالدارس لأدب المرأة في الأزمنة القريبة يراه متشحا بوشاح الحشمة والحياء ، ملتزما الانطوائية والحذر تمثيا مع التقاليد التي كانت غالبة في ذلك الوقت . فادب وردة اليازجي ، وأمنية نجيب ، وملك حفني ناصف يصور هذا اللون المشوب بانكار العاطفة وتجاهلها ، وكان بذلك أدبا تقليديا .

ثم جاءت الحرب العالمية الأولى فتركت أثرا في الأدب النسوي من مقوماته انطلاق المرأة إلى مساندة الرجل والمجاهرة بأرائها وخواطرها في جرأة متحفظة . وقد مثل هذا الطور ميّ زيادة ، وعائشة تيمور ، وملك حفني ناصف في أدبها المتأخر . وعلى الرغم من ظهور هذا اللون من الأدب النسوي ومساندة الرجل للكاتبات لكي يشاركن في الحياة العامة ، فإن الكاتبات مي وعائشة وملك انتهن عن هذه الفرصة ليلقحن وجدان المرأة بمصل المشاعر الطليقة ، ولكن أدب المرأة لم يستطع مع ذلك أن يتخلص نهائيا من القيود التي كانت تشده إلى التقليدية . صحيح أن المرأة لم تكن دون الرجل ذكاء وموهبة ، ولكنها لم تكن قد نهأت تماما لممارسة الأدب على مستوى الفكر المتحرر ، وإن بدا لها أن تقنع باصدار مجلات

تثبت بها وجودها . وظهرت فعلا طائفة من المجالات لنساء عربيات في الشام ومصر ، ولكن أكثر المقالات التي كانت تنشر فيها كانت بأقلام الرجال ، أما مقالات النساء فقلّ فيها ما يصور طابع الأدب النسوي لاعتماد المرأة على الرجل اعتمادا مطلقا تقليدا ومحاكاة ومسايرة ومجاراة .

وفي الوقت عينه حاول بعض الأدبيات تأكيد شخصياتهن المستقلة وآرائهن الخاصة في أمور أوضاع المرأة الاجتماعية كما فعلت روز أنطون حداد ، ولكن معالم الأدب النسوي لم تتجلّ بوضوح في تلك الآثار لا أسلوبيا ولا فكرة ، وإن يكن لأولئك الكاتبات فضل الريادة وفتح الطريق أمام القادمات من بعدهن . وفي ذلك الوقت كان أدب المرأة مزدهرا في الغرب ، وكانت الدنيا بأسرها تصفق « لفيكي باوم » لأنها تمتاز بالحنان ، الحنان الذي لا يجاريها فيه الرجل . وأثبت الأدب النسوي الغربي وجوده المؤكد الراسخ في ما بعد بفضل « بيرل باك » ، و « هلن كالر » و « سيمون دي بوفوار » وغيرهن .

الثلاثينات من هذا القرن بدأ الأدب النسوي يخطو في غير تعثر ، وانفجرت جنبات العروبة عن أنسام معطرة بأريج أنفاس كاتبات ناضجات فكرا ، واسعات ثقافة ، ناهضات أدبا . وتربع على عرش الأدب النسوي أدبيات لامعات أثبتن بأدبهن أن المرأة لا تقل عن الرجل ثقافة ونضجا وقدرة .

وفي طليعة الأدبيات اللاتي أقمن صرح الأدب النسوي المعاصر سهر القلماوي ، وهي تمثل الأدب الذي تفجر من ينبوع الجامعة بعيدا عما يثير الصراع بين الآراء المختلفة ، ملتزما جانب النقد الأدبي . وقد أثبتت بما قدمته أن المرأة الناقدة خير مثال لقوة الإدراك وأصدق مقياس لضبط المعايير الأدبية بجانب صبر وحكمة وروية وأناة . وأكبر ما تميز به سهر القلماوي هو حاستها النقدية الحية المرفهة وذوقها المعتدل وأحكامها الموزونة .

وبنت الشاطيء ، عاجلت بقلب الأنثى النابض شؤون الريف في باكورة حياتها الأدبية ،

وبأسلوبها القوي نهبت الى أسباب الإصلاح ، ثم شدّها أدب القرآن الرفيع ، فعالجته من زوايا شتى ، ساردة سير أبطاله ، مفسرة أحكامه ، معالجة بلاغته ، وأثبتت بذلك قدرة المرأة في شؤون الفقه .

ووداد سكاكيني ، الأدبية السورية اللامعة ، من نبع المرأة العربية الأصيلة ، قدمت للأدب أسمى القيم وأعظم الكنوز غير قانعة بالسطحية ، بل متغلغلة في الأعماق لتبلغ الجوهر . وهي نموذج ممتاز للأدبية التي عرفت كيف تصوغ من خصائص الأدب النسوي ما يتفق مع رسالتها الثقافية وما يفخر به الأدب العربي في جميع العصور .

وأمنية السعيد كيفت خصائص الأدب النسوي وفق مطالب الصحافة ، ففتحت برجا في الصحافة تعالج منه مشكلات المرأة بحصافة ومهارة ، فربطت بين طبيعة الأنثى الرحيمة وحكمة المرأة الخبيرة وحنكة الكاتبة المجيدة ، وعاجلت مشكلات الجماعة عن طريق الاسهام في حل مشكلات الفرد . فوفقت بذلك بين الصحافة والأدب والاجتماع .

ونعمات أحمد فؤاد كادت تتخصص في أدب التراجم ، فتناولت بأسلوبها المشرق السلس سير أدبية خصبة ، وعرفت كيف تستخلص منها كريم المبادئ وثمرات الدروس ، كما عرفت كيف تصوّر النزعات الانسانية المثلّي أجمل تصوير . ورسائلها الى ابنتها آية في تمجيد الأمومة والطفولة في وقت واحد ، كما أنها لون متميز بذاته في الأدب العربي الحديث .

وفدوى طوقان شاعرة تفيض بأحاسيس المرأة التي غمرها طوفان الألم والأسى والشوق ، وشعرها يمثل الحنان الأنثوي والنجوى القلبية والكشف عن المكنون في غير تبذل .

ونازك الملائكة شاعرة العراق ، لها أنفاس امرأة وقوة بيان رجل ، وقد أثبتت بشعرها الرصين طبيعة المرأة بما فيها من صبر وكفاح . ولم يكد يستقر بها المقام عند قمة الشعر القديم حتى لاحت لها مسيرة الشباب الداعي الى الشعر الحر الجديد ، فطاب لها هذا المسلك ، وباركت

مسيرتهم ، ووضعت كتابا كبيرا تدافع فيه عن هذا الشعر ، وقد أخذ عليها بعض النقاد هذا الاتجاه . وقد يكون لرأيها وجهته ، ولكنها في الصورتين تمثل بشعرها صدق تأثرها وانفعالاتها .

وعاتكة الخزرجي ، شاعرة عراقية مجيدة شهد لها بالتبريز عزيز أباطة وجورج صيدح وبيدي طبانة ومحمد عبد الغني حسن وغيرهم من أدباء العصر ، وهي تمثل جمال الشعر المتمرج بركة المرأة وشفافية عاطفتها .

وغيرهن أدبيات هنا وهناك ، اتخذن الترجمة وسيلة للتعبير عن أهدافهن وآرائهن في الحياة ، ويمكن تسمية هذا اللون بالأدب التقليدي لأنه لا يتصل اتصالا مباشرا بتفكير المرأة ومشاعرها ، لأن الأدبية تصبح كآلة التصوير تعكس الصورة كما هي بغير حس . ولو استغلت طاقتها الأدبية لتكشف عما وراء الصورة من خفايا محجوبة ، لكشفت عما تواريه سطور المؤلف . على أن هذا لا يعيب الكاتبة التي تجنح الى الترجمة ، ولكنه لا ينتمي الى خاصية الأدب النسوي الذي يتحتم أن ينبع من أعماق المرأة ويعكس صور حياتها في بيتها وفي مجتمعها وفي أي مكان تخطو بقدمها فيه وتثرّب روحها اليه وتطير نفسها باحثّة عما تريده متسامية عن كل ما لا ينتمي الى الأنوثة الكريمة بصلة .

واليوم وقد انطلق الأدب النسوي من اساره لا يقيدته شيء ، وانفسح مجال النشر أمام الكاتبات في الصحف وفي الكتب المنشورة ، فالأموال أن تستقر لهذا الأدب خصائصه المميزة الماثورة عنه ، وأن يغدو أدبا نسيا صرفا لا تشوبه شائبة .

يستطيع القاريء اذا قرأ مقالا لكاتبة ما ، وكان اسمها محجوبا عنه ، أن يميز أسلوبها ويقول انه أسلوب أنثوي وان التفكير تفكير أنثوي، فعندئذ يكون الأدب النسوي قد وقف على ساقيه تماما مستقلا عن أدب الرجل . ولا ريب أن ما تناله المرأة من تشجيع القراء سيكون ذا أثر كبير في ايصالها الى هذا المقصد في وقت ليس عنا ببعيد .

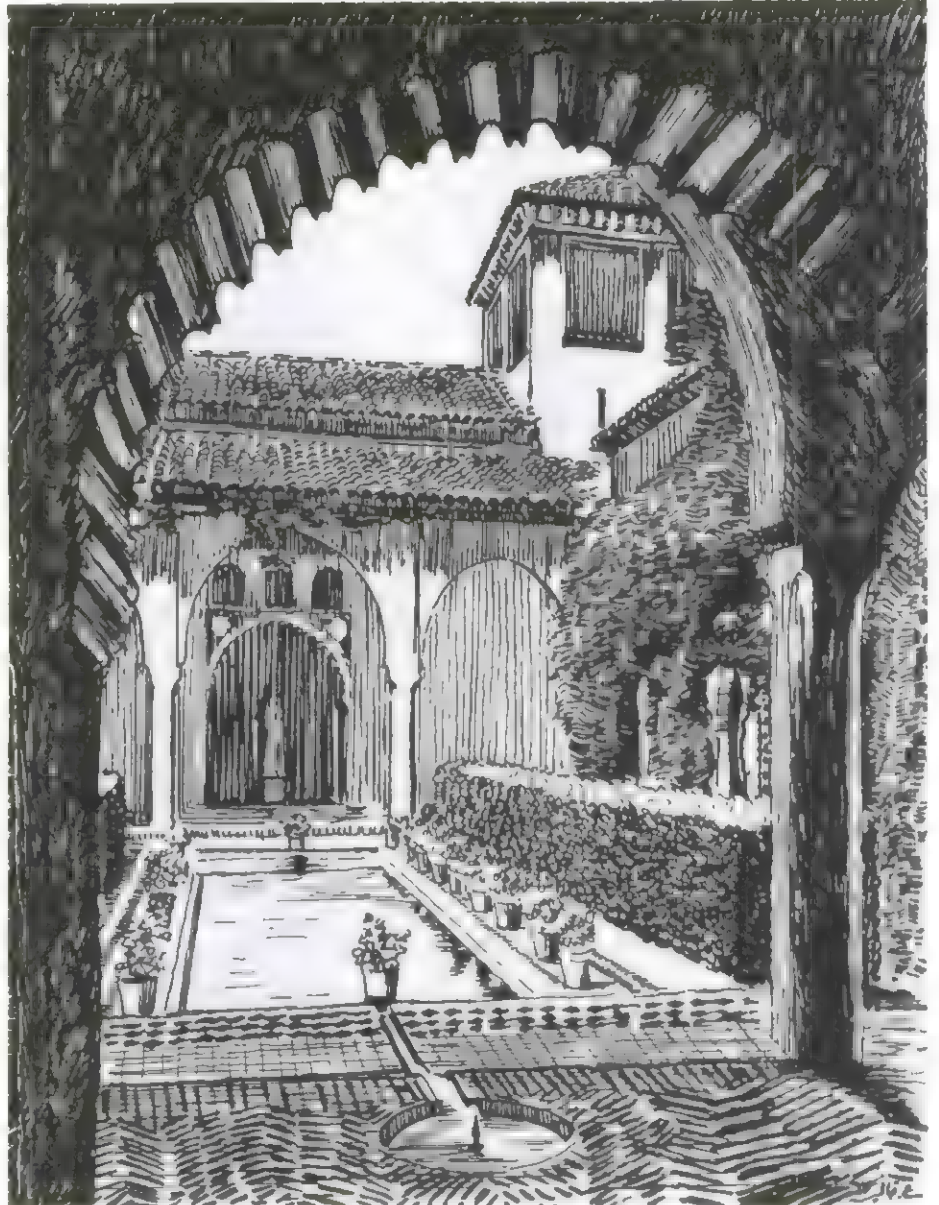
سأثر أدبية في الاندلس

بسم الأستاذ محمد عبد الله عانة

شهرت في شهر ديسمبر الماضي (رمضان ١٣٨٦ هـ) جلسات السورة الثقافية العربية الاسبانية ، التي عقدت في قصر مالقة ، واشتركت في أسفارها الى جانب زملائي من العلماء العرب والاسبان والفرنسيين وغيرهم ، وكانت ندوة زاخرة بالمحاضرات والبحوث المتعلقة بتاريخ الأندلس وآدابها وحضارتها .

سمعنا فيها بحوثاً عن الممالك الأندلسية التي قامت في مالقة ، وعن تلخيص كتاب « النفس » لابن رشد ، وعن العبارة المالقية ، وعن ابن حزم العلامة المنطقي ، وعن منشآت التحصينات في فشتالة في عصر الخلفاء ، وعن فلاحه البساتين الأندلسية ، وعن وصف جديد لقرطبة الإسلامية ، وعن قصر بني صمادح بالمرية ، وعن سليمان بن جليل وكتابه « طبقات الأطباء » ، وعن الزرقالي وبحوثه الفلكية ، وغير ذلك من البحوث الأندلسية الهامة . وسوف تعقد في مدينة قرطبة عاصمة الخلافة القديمة ، ندوة عربية اسبانية أخرى لتكريم ذكرى العلامة الفيلسوف القرطبي أبي الوليد بن رشد المتوفى سنة ٥٩٥ هـ (١١٩٨ م) يشترك فيها رهب كبير من العلماء من مختلف البلاد ، وفي مقدمتهم العلماء الاسبان والعرب . وسوف تلقى فيها بحوث عديدة عن ابن رشد ، وتفكيره وفلسفته ، وعن ظروف عصره ومجتمعه ، وقد وضعت الحكومة الاسبانية هذه الندوة تحت رعايتها ، وعينت بلدية قرطبة ، بان تقيم للفيلسوف القرطبي المسلم ، تمثالاً في أحد ميادين المدينة المهمة على نحو ما فعلت في مهرجان ذكرى الفيلسوف الامام ابن حزم في سنة ١٩٦٣ حيث أقامت له تمثالاً ، نصب على باب المطارين ، على مقربة من جامع قرطبة . ولقد كانت هذه الندوة العربية الإسلامية تعقد بدار الثقافة التي تقع بجوار قصبة مالقة الشهيرة ، وهي من أعظم الآثار الأندلسية الباقية ، ولقصبة مالقة هذه تاريخ طويل حافل ، وقد كان بنو حمود الإدارة حينما أقاموا ملكهم بمالقة في أوائل القرن الخامس الهجري ، هم أول من عني بتجديد قصبة مالقة التي كانت تضم عندئذ قصر الأمير ، ولم يزل بها الى اليوم جناح مجدد من أجنحة قصر بني حمود . على أن قصبة مالقة تدين بخصمتها ومنعتها بالأعصر لباديس بن حيوس ملك غرناطة البربري أيام الطوائف . فقد انتزع باديس مالقة من الحموديين سنة ٤٤٩ هـ (١٠٥٧ م) وجدد قصبة مالقة تجديداً شاملاً ، ووسع منشآتها حتى غدت من أعظم القصبات الأندلسية ، ثم توالى عليها من بعده تغييرات وتجديدات كثيرة ، وأصلحت وجددت غير مرة على يد سلاطين غرناطة وذلك خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر من الميلاد . وما تزال قصبة تضم جناحاً مجدداً من الأبنية الغرناطية .

والى جانب هذا الأثر الأندلسي الكبير الذي كنا نشاهد أسواره وأبراجه كل يوم ، في مجيئنا الى دار الثقافة ، وحين انصرفنا منها ، كانت



تساونا ذكرى طائفة من أعلام مالقة في عهدها الاسلامي ، وبخاصة ذكرى ابنها العالم النباتي العبقري ابن البيطار المالقي ، الذي نبغ في أوائل القرن السابع الهجري ، وطاف بأنحاء المغرب ومصر والشام وآسيا الصغرى وبلاد اليونان ، يدرس النبات والأعشاب الطبية ، ثم ترك لنا كتابيه الشهيرين «الجامع في الأدوية المفردة» و «المفني في الأدوية المفردة» ، وتوفي في دمشق سنة ٧٤٦ هـ (١٣٤٥ م) .

والذي

يلفت النظر في أمر هذه الندوات والمحرمات العربية الاسبانية ، وتكررها على هذا النحو المنظم ، ليس هو ما يتخللها من الحفلات والمشاهد الاجتماعية المبهجة ، والمحاضرات والمقالات العلمية المتنوعة ، لتكريم ذكرى أئمة التفكير الأندلسي ، وإنما هو قبل كل شيء ذلك المغزى العميق الذي تنطوي عليه تلك الظواهر المشتركة ، بين أبناء التراث المشترك ، وذلك التضامن بين الاسبان والعرب ، في التنويه بأمجاد الماضي المشترك ، وبعبث ذكريات اسبانيا المسلمة في إطار من التقدير والتعجيد والاعتزاز ، وهي ظاهرة جديدة لم يكن لها من قبل وجود في عالم التفكير الاسباني .

ذلك أنه قبل نصف قرن فقط ، كان التفكير الاسباني ما يزال على اتجاهه القديم المأثور ، من النظر الى تاريخ الأندلس وأل تراثها ، بعين

البغضاء والمقت ، وإلى الانتقاص من قيمة تراث الأندلس الفكري والحضاري . كان هذا الاتجاه المتحيز هو الغالب على التفكير الاسباني ، وعلى معظم ما يكتب في الاسبانية عن تاريخ الأندلس وحضارتها . ولكن العناصر الرشيدة المعتدلة أخذت تبدو في التفكير الاسباني منذ أوائل هذا القرن ، وكان احتفال الحكومة الاسبانية عام ١٩٢٩ بالذكرى الألفية لقيام الخلافة الأندلسية بقرطبة ، على يد عبد الرحمن الناصر ، من أهم مظاهر هذا التحول في تقدير تاريخ الأندلس وتراثها . وجاء من بعد ذلك نفر من أكابر العلماء الاسبان ، يدافعون عن الأمة الأندلسية ، وعن تاريخها وحضارتها ، ويعتبرون أن تاريخ الأندلس ليس سوى صفحة من أمجد صفحات التاريخ الاسباني ، وكان في مقدمة هؤلاء العلماء الأستاذ «كونثالث بالنسيا» ، الذي تحدث في رسالته الشهيرة «تأثير الحضارة العربية في الحضارة الاسبانية» حديثا طويلا مدعما بالأدلة والأسانيد القوية ، وأنصف الأمة الأندلسية انصافا كاملا شاملا .

واليك بعض ما يقوله هذا العلامة في رسالته : «ان العارة المدنية ، والدينية في بعض نواحيها ، والفنون الرفيعة ، والحياة المرفهة ، بين المواطنين الاسبان ، كانت تقوم على تراث المسلم الأندلسي . ولقد كان المنزل القشتالي يعكس تكوين المنزل الأندلسي نفسه ، وحتى القصور الملكية ، كانت

صورة من القصور الأندلسية . والواقع أنه لا مجال للدهشة من تكس هذه المؤثرات الحضارية العربية الأندلسية في الحضارة المسيحية لشبه الجزيرة الاسبانية . ذلك أن الحياة المشتركة مدى قرون عديدة للحضارتين ، كان لا بد أن تحدث أثرها . على أن هذا الأثر لم يقف عند شبه الجزيرة الاسبانية بل لقد ترك في أوروبا بأسرها آثارا يمكن تقصيها .»

منذ

أعوام تنعقد الندوات والمحرمات الثقافية العربية الاسبانية بصورة منظمة . وقد عقد منها حتى اليوم خمس ندوات ، عقدت على التوالي في غرناطة ، وقرطبة ، ومرسية ، وبلنسية ، ومالقة . وقد كانت هذه الندوات التي يحتشد فيها العلماء الاسبان إلى جانب زملائهم العلماء العرب ، ويلقون بحوثهم في التنويه بذكرى عظماء اسبانيا المسلمة ، وبتراثها الحضاري المجيد ، كانت في الواقع ذروة هذا التطور العميق في التفكير الاسباني نحو تاريخ الأندلس والحضارة الأندلسية ، وذروة هذا التضامن العلمي بين الشرق والغرب ، وبين أبناء التراث الحضاري المشترك .

وان هذا التطور في التفكير الاسباني نحو الأندلس وتراثها ، ليعبر بالنسبة للشرق وبالنسبة للعرب بوجه خاص ، كسبا أدبيا ومعنويا . ومن المحقق أن هذا الاتجاه الجديد نحو تقدير التراث الأندلسي ، سوف يكون له أثره العميق في التفكير الغربي بوجه عام .

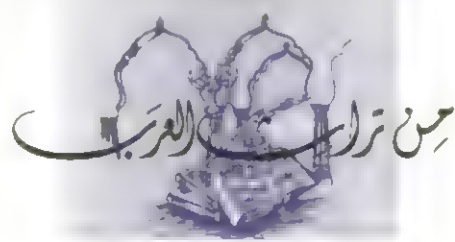
في من الناس

حسن الخلق : أن يكون المرء لين الجانب ، طلق الوجه ، قليل النفور ، طيب الكلمة ، تدوم بين الناس محبته ، وتتأكد مودته ، وتقال عثرته ، وتهون زلته ، وتستر عيوبه . فإذا حسنت أخلاق الانسان كثر مصافوه ، وقل معادوه ، وتسهلت اليه الأمور الصعاب ، ولانت له الأفتدة الغضاب . ومن ساءت أخلاقه ، ضاقت أرزاقه ، والناس منه في شوم وبلاء ، وهو من نفسه في تعب وعناء . وأما من ألان للخلق جانبه ، واحتمل صاحبه ، ولطفت معاشرته ، وحسنت محادثته ، مال اليه الخلق ، واتسع له الرزق ، وهو من نفسه في راحة ، والناس منه في سلامة ، وأدرك المطلوب ، ونال كل أمر محبوب .

إذا لم تسع أخلاق قوم تضيق بهم فسيحات البلاد

في المروءة

المروءة : صفة جامعة لصفة الكمال ، حاوية لمحاسن الخصال ، وسجية جبلت على التخلق



بها ذوو النفوس الزكية ، وشيمة طبعت على حبها أولو المهتم العلية . وأعظم فضائلها منفعة تعود على بني الانسان مثل مواساة الاخوان ، واغاثة الملهوف ، واغاثة الضعيف ، وحفظ العهد ، والوفاء بالوعد ، والتعفف عن الحرام ، والتخلق بأخلاق الكرام ، ومودة القريبى ، وصلة الأرحام ، وقضاء حوائج الناس ، والانصاف في الحكم ، والكف عن الظلم .

في الشراء

ينبغي للانسان الا يتخذ من اخوانه الا من اختبر شؤنه قبل اخائه ، وكشف عن أخلاقه قبل اصطفاؤه . فمن وجده محمود الطباع ، مرضي

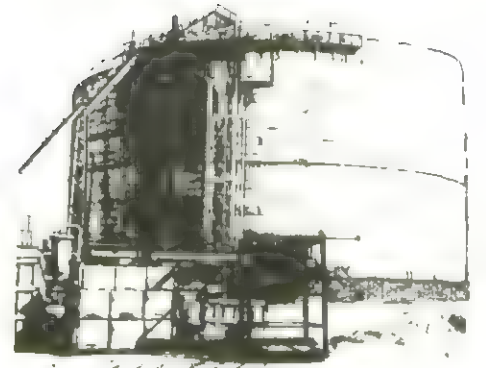
الأفعال ، محبا للخير آمرا به ، كارها للسر و للشر نائبا عنه حافظا لعهد ، ذاكرا لودّه ، اتخذه صديقا وحبيبا ورفيقا . ويحذر المرء مصاحبة الأشرار اللثام ، فإن مودة الدنيء الشرير تكثر الأعداء وتفسد الأخلاق ، ولا خير في مودة تجلب عداوة وتورث مذمة . والعامل يصطفي من الاخوان ذا الرأي والأدب ، من يكون مساعدا له على نوائب الدهر ، وعونا له على حاجته .

في الوفاء

الوفاء : مراعاة العهد ، وتجنب خلف الوعد ، وحفظ الود ، وهو أحسن شمائل الانسان ، وأوضح دلائل الفضائل والاحسان ، وأقوى وسائل أسباب المجد ، وأحق الأفعال بالشكر والحمد ، تمس الحاجة اليه ، وتجب المحافظة عليه . فمن تحلى بالوفاء ، وتحلى عن الجفاء ، وراعى عهد اخوانه ، وحفظ حقوق أوطانه ، وجبت مودته ، وحسنت سيرته ، وكلت مروءته .

ثبتت على حفظ العهود قلوبنا ان الوفاء سجية الأحرار

خزان الزيت



اول خطوة في مراحل بناء خزان الزيت هي تمهيد الرقعة التي سيشاد عليها الخزان .

قصة من المداكنة والتصميم والبناء

سأحاول قدر المستطاع أن أميط اللثام عن كيفية بناء خزان الزيت ، متوقفا قليلا عند كل مرحلة من مراحل انجازه .

ز الطاقة على الانتاج يصحبه دائما تطور في المرافق والمنشآت . ولما كانت شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) تحرص دائما على تأمين طلبات الأسواق المتزايدة على منتجاتها البترولية كان لا بد لها من تطوير بعض مرافقها ومنشآتها الضرورية، وتشديد المزيد من الخزانات والصهاريج الضخمة الكفيلة باستيعاب كميات الانتاج المتدفقة من حقول الزيت لجعلها جاهزة رهن الطلب . ونتيجة لذلك قامت أرامكو بزيادة عدد مراسي فرضة رأس تنورة البحرية ، لاستقبال المزيد من الناقلات وتسهيل عمليات الشحن والتعبئة ، كما عمدت الى بناء جزر اصطناعية ، ليتمشى باستطاعتها استقبال كبريات الناقلات وتحملها بسرعة وسهولة .

ان اشادة الخزانات عملية فنية تتطلب جهدا ودراسة . فالخزان الواحد مثلا يستغرق بناؤه سنة كاملة من العمل المتواصل وتتعاون في بنائه فئات مختلفة من العمال والبنائين والتجارين والحدادين واللاحامين والميكانيكيين والسباكين والكهربائيين وغيرهم . وفي جولتي هذه مع القراء ،

للقوف على تفاصيل مرحلة الانشاء ، زرت ساحة الخزانات في رأس تنورة حيث يجري حاليا اشادة ثلاثة خزانات ذات سطح عائم ، للزيت الخام ، وخزان كروي لغاز البترول السائل . وتبلغ سعة كل منها ٥٠٠.٠٠٠ برميل ، باستثناء خزان غاز البترول السائل الذي تبلغ سعته ٤٠٠.٠٠٠ برميل . هذا وقد تقرر بناء خزانين جديدين ، سعة كل منهما ٦٣٠.٠٠٠ برميل من الزيت .

وأول خطوة في مرحلة البناء هي تمهيد الرقعة التي سيشتاد عليها الخزان . وتشمل هذه المرحلة قبل كل شيء دراسة مدى تحمل التربة لوزن الخزان ، وبالتالي تسوية الأرض وتمهيدها جيدا ، ثم بناء حلقة من الاسمنت يساوي قطرها قطر الخزان المنوي بناؤه ، لتملاأ بطبقة من (الطين الخزفي) تعلوها طبقة من الرمل والزيت ، ورص الأرض جيدا لتمسي مستوية مع سطح الحلقة نفسها .

وتبدأ قصتنا من فكرة تختبر في رؤوس مهندسي البترول في الحقل . وبموجب مواصفات يضعها المهندسون عن سعة الخزان والغرض الذي سيستخدم من أجله ، يشرع في تصميم الخزان واعداد الخرائط التفصيلية له ، متضمنة مقاسات الخزان ، ونوع المعدن المتوجب استخدامه والصمامات الضرورية ، وكذلك حجم أنابيب التعبئة والتفريغ الى ما هنالك من المعلومات الايضاحية . ثم تعرض هذه الخرائط على شركات المعادن العالمية لدراستها ، وتقديم الأسعار والعطاءات .

وتصنع الشركة المعنية ألواح الحديد الصلب التي سيبني منها الخزان حسب المواصفات المطلوبة ، ثم تشحن الوصلات الى مكان العمل لتبدأ ، أثر وصولها ، مرحلة الانشاء .



تصنع جوانب الخزان من ألواح فولاذية أكثر سمكا من تلك التي تستخدم في صنع القاعدة .



يدخن الخزّان من الداخل والخارج بدهان واق من الصدأ .

الخزان كروي السطح ، جرى رفعه الى أعلاه حيث يثبت وتلحم جوانبه . أما اذا كان سطح الخزّان من النوع العائم ، فيبعد رفعه الى نحو متر ونصف المتر ، يثبت على قوائم خاصة تبقى على هذا المستوى أثناء وجود الخزّان فارغاً .

ان استخدام الهواء في رفع غطاء الخزّان الى مكانه ، طريقة مستحدثة حلت مكان الطريقة القديمة وهي استخدام الماء . ومن حسنات الطريقة الجديدة التوفير في الوقت والسهولة في العمل . ففي حين كانت عملية رفع الغطاء بالماء تستغرق بضعة أيام ، أصبحت حالياً تتم في خلال ساعات معدودات . هذا فضلاً عن سهولة تأمين الهواء اللازم .

أما عملية بناء خزان غاز البترول السائل فتختلف عن عملية بناء خزان الزيت في أمرين جوهريين ، وإن كانت مراحل الصنع تكاد تكون واحدة ، إذ تصنع القاعدة أولاً ، فالجوانب ثانياً ، فالسقف في النهاية . وهذا الاختلاف هو أن قاعدة خزان غاز البترول السائل تتضمن أثناء بنائها أنابيب تبريد ، وإن جدرانها وسقفها تحاط بطبقة عازلة تحفظه من التعرض للحرارة الخارجية . والطبقة العازلة هذه عبارة عن طوب

وأثر مرحلة التمهيد ، التي تتم عادة بواسطة مقاول سعودي ، تبدأ مرحلة بناء الخزّان التي تقوم بها الشركة الصانعة نفسها ، مستخدمة في العملية عمالاً سعوديين أكفاء ، يقومون تحت إشراف الفنيين المسؤولين بلحم وصلات الحديد الصلب الواحدة تلو الأخرى ، بواسطة آلة لحام خاصة ، تمر مرة من الداخل وأخرى من الخارج . وأول ما يجري صنعه قاعدة الخزّان ، وهي تبنى حسب المواصفات الموضوعة ، من ألواح سمك الواحد منها ثلاثة أرباع بوصة تلحم جوانبها بإحكام لتكون في النهاية سطحاً مستديراً قطره نحو ٢٦٥ قدماً . ثم تصنع جوانب الخزّان من ألواح فولاذية أكبر سمكاً من تلك التي تستخدم في صنع القاعدة . هذه الألواح ينقص سمكها كلما ارتفعت الجدران ، فحين يبدأ البناء بالألواح سمكها $1\frac{1}{4}$ بوصة ينتهي في القسم الأخير بالألواح سمكها حوالي $\frac{3}{4}$ بوصة . وهذه الألواح تلحم فوق بعضها البعض ، ليلبها بناء سقف الخزّان من ألواح فولاذية رقيقة نسبياً يبلغ سمك الواحد منها $\frac{1}{4}$ بوصة . ويبنى السطح فوق أرض الخزّان . وبعد بنائه ، يمرر من تحته تيار من الهواء فيرفعه الى العلو المراد ، فإن كان



سطح الخزّان كما يبدو من اعل .

الكثرونية متصلة بغرفة التحكم بحيث يمسى باستطاعة المشغل المسؤول فتح الأنايب والمضخات وإغلاقها بمجرد الضغط على زر معين . وإبان العمل على المضخات والأنايب ، يكون العمل جاريا على بناء جدران حصر الحريق ، حتى اذا ما انتهى العمل في جميع هذه الأقسام ، أصبح الخزان جاهزا للاستعمال .

وبانتهاء الخزانات التي يجري بناؤها حاليا يصبح لدى أرامكو في معمل التكرير برأس تنورة تسعة خزانات للزيت الخام و ١١٤ خزانا للمنتجات المكررة بالإضافة الى ٣٤ خزانا للزيت الخام ، و ٤٨ خزانا للمنتجات المكررة ، وثمانية خزانات لغاز البترول السائل في ساحة الخزانات . في الفرضة البحرية . واذا علمنا أن كل خزان يستغرق بناؤه حوالي سنة كاملة ، أدركنا ولا شك مدى الجهود التي بذلت في اقامة مثل هذه المنشآت الضخمة .

والجدير بالذكر أن عملية بناء هذه الخزانات الضخمة يحدافيرها ، أصبحت تتم على أيدي فنيين سعوديين مهرة ، لا يشاركون فيها سوى بعض الاختصاصيين في تقديم الرأي والمشورة والارشاد .

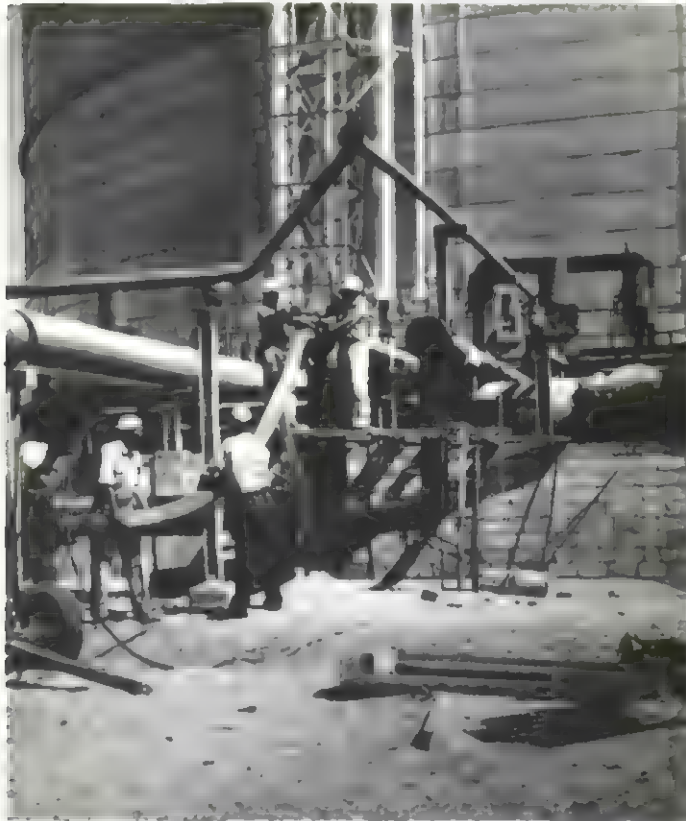
مصنوع من الألياف الزجاجية ، (شبيه في حجمه وشكله بطوب الاسمنت العادي) يبنى ملتصقا بجدران الخزان وسقفه المقبب من الخارج ، ثم يغطى بطبقة رقيقة من الألومينيوم لوقايته .

الحصان والتمديدات الكهربائية والأنايب

وما أن ينتصب الخزان شامخا حتى يبدأ بطلائه من الداخل والخارج بدهان واق من الصدأ . وبعدئذ يمد أنبوبا التعبئة والتفريغ . وفي الخزانات التي يجري انشاؤها حاليا يبلغ قطر أنبوب التعبئة ٣٠ بوصة بينما يبلغ قطر أنبوب التفريغ ٤٨ بوصة . وفي الوقت الذي يجري فيه مد الأنايب ، يكون العمل جاريا على بناء مضخة تقوية تعمل على ايصال الزيت من الخزان الى مضخة دفع يتم بناؤها أيضا ، وتقوم بدورها بإيصاله الى الجهة المقصودة . وتبلغ طاقة مضخة التقوية ٧٠٠ حصان ميكانيكي بينما تبلغ طاقة مضخة الدفع ١٠٠٠ حصان ميكانيكي . وجميع محطات الضخ وصمامات الأنايب وعدادات الخزانات ، مزودة بأجهزة



يبنى حول كل اثنين أو ثلاثة خزانات جدار من الاسمنت يحول دون انتشار الزيت الى بقية الخزانات في الحالات الطارئة .



بعد الانتهاء من بناء الخزان توصل به أنابيب التعبئة والتفريغ . تصوير : مودي



خزان غاز البترول السائل وقد بلغ مرحلة الانتهاء .

ندوة أدبية

في طريق الزوال والانقراض

بقلم الأستاذ فؤاد شاكر

العليلي « إحدى الفضليات من أدبيات هذا العصر ، وقد أتيح لي أن أزورها منذ زمن بعيد .

وبالطبع لا يمكن أن ننسى ندوة أديب العصر وكاتبه البليغ الأستاذ عباس محمود العقاد - رحمه الله - وقد دأبت على ملازمة ندوته في داره بمصر الجديدة كلما استطعت . وندوة الأستاذ العقاد جديرة بأن يفرد لها بحث خاص لما كان لها من مظهر مميز ، وجو علمي رائع .

وكانت هناك ندوة أدبية كبرى ، تقيمها في دارها أميرة مصرية معروفة . هي للأميرة « نازلي فاضل » ، كان يومها الكثير من الأدباء والشعراء ، وطار صيتها في زمنها ، واحتلت مكان الصدارة في الحياة الأدبية آنذاك . واني حين أتكلم عن الندوات الأدبية التي انقضت ، لا أعني تلك الندوات التي تأخذ صفة النوادي العامة ، إنما أعني الندوات الأدبية المنزلية لأن لها من الصفة الخاصة ما يلفت النظر الى وجودها وأثرها في الحياة الأدبية باعتبارها اجتماعات منزلية ، يوحى بها الجو المنزلي الذي هو مجال هذا البحث .

مكة المكرمة - مثلاً - شهدنا الندوات الأدبية المنزلية في أواسط القرن الحاضر . وهي وإن كانت قليلة في المنزل أو الدار ، فقد كان مجالها ، حسب البيئة وطبيعة ظروفها وحرارة الطقس في مكة المكرمة ، في « المقاهي » الرابضة خارج البلدة آنذاك في أحياء « جرول » أو « المسفلة » أو « الشهداء » أو غيرها من الأماكن التي كانت خلوية صحراوية يخرج إليها الناس - أدباء وغير أدباء - في ساعات الأصيل ، وفي الهزيع الأول من الليل ، باعتبارها متنفس البلدة وممتزحاتها . أما في المنازل ، والدارات ، والبيوت ، فاني لا زلت أذكر ترددنا منذ ثلاثين عاماً على منزل الشيخ سعيد العامودي ، وهو والد الأديب

التي أعنيها هي الندوات الأدبية في المنازل ، وكانت هذه من سمات مستهل القرن الحالي ، حيث كان الأدباء يجتمعون في منازلهم ويلتقون في بيوتهم . فلم تكن النوادي الأدبية بمعناها الصحيح المعروف شائعة أو مطروقة ، وكان ذلك في جميع البلاد العربية بلا استثناء ، أوجت به ضرورة الرغبة في الحياة الأدبية الاجتماعية ، التي هي أصل من أصول الحاجة الى تداول الآراء ، وتبادل الأفكار ، وإنشاء كيان مجتمع انساني يلتقي فيه الناس ، ويستشقون عن طريقه ملء رئاتهم عبيراً نقياً ، يهيبهم لهم الاسترواح والاستجمام واشباع هواياتهم النفسية من أدب وشعر . ثم تزجية أوقات الفراغ بما هو نافع مثمر مفيد ، يعود عليهم وعلى مجتمعهم بكثير من العلم والمعرفة والثقافة واشاعة ألوان من الرأي والاستطلاع .

ذلك شأن من شؤون الحياة ومظهر من مظاهرها ، كان له أبرز الأثر في خلق جو أدبي وعلمي ، ومزاولة حياة برينة بعيدة عن مظان اللهو والمجون . ولعبت ولتتوّن ، وتداول سير الأفراد والجماعات بما لا يليق ولا ينفع .

والندوات المنزلية كانت مظهراً للحياة الأدبية الرفيعة في كثير من البلاد العربية . أو بلاد « الشرق العربي » كما كانوا يسمونها في مستهل هذا القرن . وأشهر هذه الندوات في مصر ، الى ثلث قرن مضى ، ندوة الأنسة « مي » ابنة السيد الياس زيادة صاحب جريدة « المحروسة » . وقد اشتهرت هذه الندوة ، وانتزعت مقاما ملحوظا في الجو الأدبي الشائع في مصر آنذاك . وكانت الى جانبها ندوات أدبية أخرى مماثلة ، لعل آخرها ، وقد تكون باقية الى اليوم ، هي ندوة السيدة الجليلة « جميلة

الكبير الأستاذ محمد سعيد العامودي ، رئيس تحرير مجلة « الحج » ومجلة « رابطة العالم الإسلامي » . وكان « العامودي الكبير » له محل تجاري بخان « سوق » في مكة المكرمة ، ومجتمع أدبي في داره بأسفلة . وقد قال فيه الأديب عبد السلام السامي آنذاك أبياتا من الشعر في دعابة أدبية مطلعها « في المسفلة منزلي ، وبالحان دكاني » .

وفي جدة ، كانت هنالك ندوات أدبية ، تقام في منازل أدبائها وعلمائها وشيوخها . ولعل أبرزها على الإطلاق ندوة الأدب والعلم والثقافة ، والضيافة أيضا ، التي لا تزال كذلك حتى اليوم في منزل العلامة الكبير الشيخ محمد حسين نصيف .. ذلك المنزل العامر ، الذي ازدحم بالمؤلفات العديدة في مكتبة مثالية كانت - ولا زالت - مقصد الناس من مختلف الطبقات والأجناس .

وفي المدينة المنورة كان « أدب المنازل » شائعا الى عهد قريب على مستوى رفيع ، فكانت هناك ندوات خاصة تعقد في بعض البيوت التي انفردت باستقبال الأدباء والعلماء والشعراء والظرفاء ، حيث يجري تبادل الآراء والدعابات والفكاهات ، وتداول الأدب والشعر والمساجلة في مختلف أفاقين القول ومذاهب الكلام . ومن ذلك انشاء الشعر ، وانشاده ، وتشطيره ، وتخمينه ، وتشجييره ، والحديث فيه على أوسع مدى وأفسح مجال . ولم يكن ذلك قاصرا على رجال الأدب وحدهم ، بل يتنظم في سمطه العلماء الأفاضل . من كبار الرجال على مختلف طبقاتهم . وانما يجمعهم عقد نظيم ، هو هواية الأدب ، والشعر ، والظرف ، والتندر ، والفكاهة ، والدعابة ، في جو أدبي رائع ، فيه المثل العليا التي تكاد توفى سوقا أدبية ، شبيهة بسوق عكاظ على نطاق منزلي محدود . ومن تلك المنازل التي كانت عامرة بالأدب الرفيع منزل الشيخ ابراهيم الاسكوبي ، ومنزل الشيخ أنور عشقي ، والشيخ زكي برزنجي ، والسيد عبد الجليل براده ، والسيد عبد المحسن أسعد ، والشيخ ابراهيم برّي ، والشيخ سعد الدين براده ، وغير هؤلاء من أندادهم وأضرابهم من الرجال الذين كانوا يفتحون منازلهم في شكل منتديات أدبية ، يجري فيها تداول الأدب الرفيع في أجمل صورة ، وأبهى ألوانه ، وأجلى مظاهره الشائقة التي تجمع باقة ناضرة من أولئك الجلة الأكرمين . من الرجال الذين صفت نفوسهم ، وخلت من هموم الحياة وأوضارها ومثالبها وشرها . كان الشعر أبرز موضوعات البحث والنقاش ، حيث يجري تناشد الأشعار ، فلا يلتزم المجلس أو ينفرط الا عن فائدة أدبية أو علمية ، يتناقلها الرواة فيما بعد ، ويتحدثون عنها في مجالسهم ومنتدياتهم اعجابا ورواية وتقديرا .

ومن الشعر الذي كان متداولاً في تلك الأيام ، وربما بقي شيء منه الى اليوم ، قصيدة مشهورة . سارت بذكرها الركبان ، بل الألسنة والألحان ، هي قصيدة الشاعر « المدني » ابن النحاس ، التي مطلعها قوله :

بات ساجي الطرف والشوق يلح
والدجى ان يمض جنح ، يأت جنح
وكان الشرق باب للدجى
ما له غير طلوع الصبح ، فتح

لا تسل عن حال أرباب الهوى
يا ابن ودي ، ما لهذا الحال شرح
لست أشكو حال جفني والكرى
ان يكن بيني وبين النوم صلح
لا أقم العيس ، للعيس بد
في تلاقينا ، ولأسفار نجح
كم أدوي القلب ، قلت جلتي
كلما داويت جرحا ، سال جرح
وهناك قصيدة أخرى ، للشاعر نفسه كانت أناشيدها كألحان الحداة ، يترنم بها الراح والغادي ، نغما وغناء ، منها :

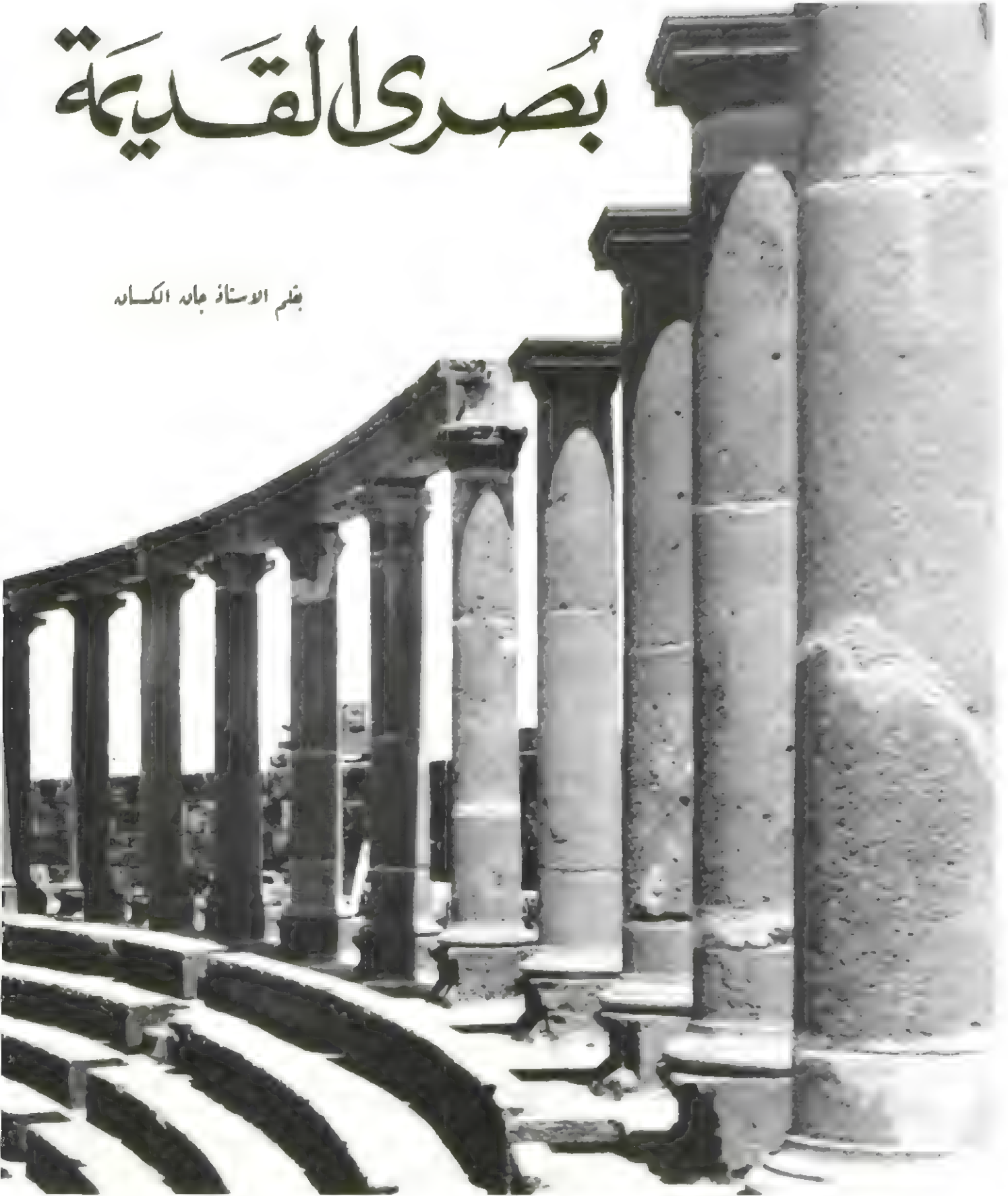
رأى اللوم ، من كل الجهات فراعته
فلا تنكروا اعراضه وامتناعه
ولا تسألوه عن فوائدي ، فانني
علمت يقينا أنه قد أضاعه
ويا ليت قد كان من أول الهوى
اطاع عنولي ، واكتفينا نزاعه
أشاع الذي أغرى بنا ألسن العدى
وما غرب الدنيا سوى ما أشاعه
له الله ظبيا كل شيء يروجه
ويا ليت لي شيئا يزيل ارتباعه
ذرعت الفلا ، شرقا وغربا ، لأجله
وحبّرت أحفاف المطي ، ذراعاه
فلم يبق بر ما طويست بساطه
ولم يبق بحر ، ما رفعت شراعاه
الى آخر تلك الأبيات الرقيقة المصورة المعبرة .

ولابن معتوق الشاعر ، عدد من القصائد ، وعديد من الأبيات ، كانت - وقد تكون باقية أيضا - في الفاظ وأسماع المغنين ورواة الشعر ، وأشهرها قصيدته الغنائية التي مطلعها :

خفرت بسيف اللحظ ذمة مغفري
وفرت برمح القدر نضيري
وجلّت لنا من تحت مكّة خالها
كافور فجر شق ليل العنبر
يا حامل السيف الصحيح اذا رنت
اياك ضربة جفنها المنكسر
وتوقّ يا رب القناة الطعن ان
حملت عليك من القوام بأسمر
تالله ما ذكر العقيق ، وأهله
الا وأجراه الغرام ، بمحجري
يا للعشيرة من لمهجة ضيفم
كملت منيته بمقلة جوذر
الى آخر تلك المعاني الرقيقة الطريفة ، التي كان لها شأنها في اشاعة الطرب والسرور بين النفوس ، وكانت للمجالس عطرا بعد عروس ..

بُصْرَى الْقَدِيمَة

بقلم الأستاذ جاهد الكساح



القسم الأعلى من المسرح تزيينه الأعمدة الضخمة التي أبدع المهندسون في نحتها وتشبيدها .

القلقشندي : « بُصْرَى مدينة أزلية .. » ذلك لأن هذه المدينة القائمة منذ ضحى التاريخ والتي جمعت ميزات العهود اليونانية والنبطية والرومانية والغسانية والبيزنطية وآثارها ، تأبى اليوم الا أن تنفض عنها ركام القرون ، وتعود لتروى لأبناء الجيل سيرة الأسلاف الذين شيّدوا هذه المدينة العظيمة التي تميزت بأوابدها الحجرية وطرّاز بنائها على مدن العالم القديم جميعها .

لقد حقق كثيرون موضوع بُصْرَى ، ولكن المعلومات التي جمعت عن سكانها قبل العهد اليوناني ضئيلة ومشكوك فيها ، ولكن من الحق أن الساميين استوطنوا بلاد حوران منذ زمن قديم ، وتذكر التوراة أن بعض مدن حوران ، ولعل منها بصرى ، كان يسكنها العمالقة العرب .

بعد العهد اليوناني نزل الأنباط في بُصْرَى وازدهرت في زمنهم ازدهارا كبيرا اذ أصبحت مركزا مهما من مراكز التجارة وال عمران ، وبعد

عام (٣٧١ م) جعل الملك رثيال الثاني النبطي من بصرى عاصمة لبلاد ، وبعد وفاته الحقت بالحكم الروماني وأصبحت حاضرة « الولاية العربية » وذلك منذ ربيع عام (١٠٦ م) . وفي ذلك العهد اتصلت بصرى بالشمال والشرق والجنوب بشبكة من الطرق المعبدة لا يزال بعض أقسامها ظاهرا حتى الآن .

وبعد القرن الرابع الميلادي دخلت بُصْرَى في دائرة حكم الغساسنة ، وقبل الفتح العربي الاسلامي انتشرت المسيحية في بُصْرَى وحوران وأصبحت أسقفية بُصْرَى « بلاد العرب » في الدرجة الثالثة بين الأسقفيات .

وفي أول عهد الدعوة الاسلامية أخذ سكان بُصْرَى يتناقلون أحاديث الرسول وأخباره وأعماله وانتصاراته على المشركين ، وبذلك أحدثت أخبار الدعوة المحمدية انقلابا روحيا في نفوس سكان سورية لأنهم كانوا ينظرون الى عرب الحجاز كأخوة لهم ، ويشعرون أن الإسلام هو دين فطرتهم .

أما عن فتح بُصْرَى فهو مفصل في كتاب « فتوح الشام » ، وكانت بصرى آنذاك محطاً وملقى للقوافل ، حتى قال عنها خالد بن الوليد مخاطبا أحد قادة العرب « أما علمت أن هذه ميناء الشام والعراق ؟ »

وفي أيام الفاطميين والأيوبيين كان لبُصْرَى أهمية عسكرية ودينية ، وقد استعصت على الصليبيين ، وبعد الأيوبيين أخذ شأن بصرى في الاضمحلال .

أوابد بصرى

يشبه تنظيم مدينة بصرى تخطيط المدن اليونانية والرومانية القديمة ، فأسوارها مستطيلة وأبوابها متقابلة ، وأشهر الأوابد فيها :

باب المدينة ، وقوس النصر ، والسقاية ، والكلية ، والجامع العمري ، ودبر الراهب ، بحيرى ، وجامع مبرك الناقة ، وبركة الحاج ، ومدرسة أبي الفداء ، والباب ، والعمود النبطي ، والقلعة والمدرج .

باب المدينة

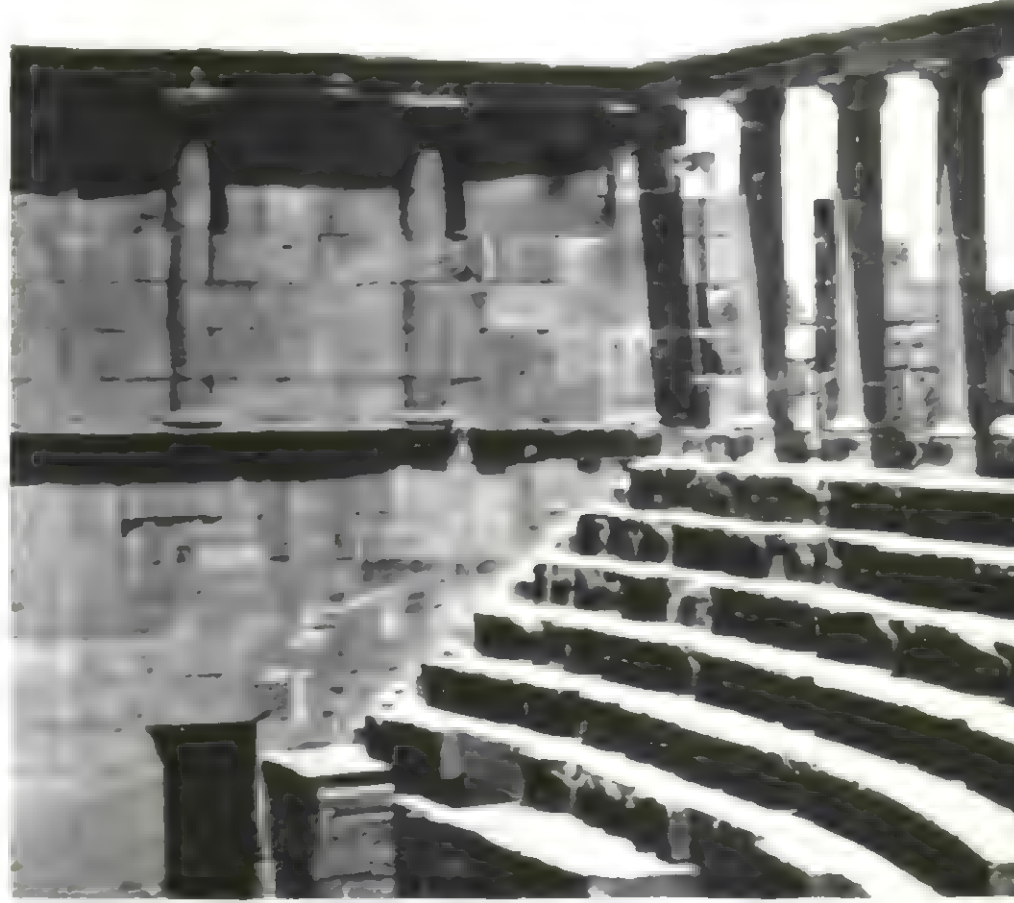
ويعود تاريخ بنائه الى القرن الثاني للميلاد ، وقد أعيد بناء قوسه وواجهاته وفقا للمخططات والصور القديمة .

قوس النصر

ويسمى اليوم باب القنديل ويرجع تاريخ بنائه الى أوائل القرن الثالث الميلادي ، ويتألف من ثلاث أقواس أطولها القوس المتوسطة اذ يبلغ علوها ١٣ مترا .

السقاية

في شارع المدينة الرئيسي أربعة أعمدة من الطراز الكورنثي ، تقوم عند تقاطع الشارع مع الطريق المتجه نحو الجامع العمري ، وهي آخر ما بقي من واجهة بناء السقاية التي كانت تمتد السابلة والسكان بالماء ، ويرجع تاريخ بنائها الى القرن الثاني الميلادي ، وهي مؤلفة من قسمين بينهما جدار يبلغ عرضه خمسة أمتار ،

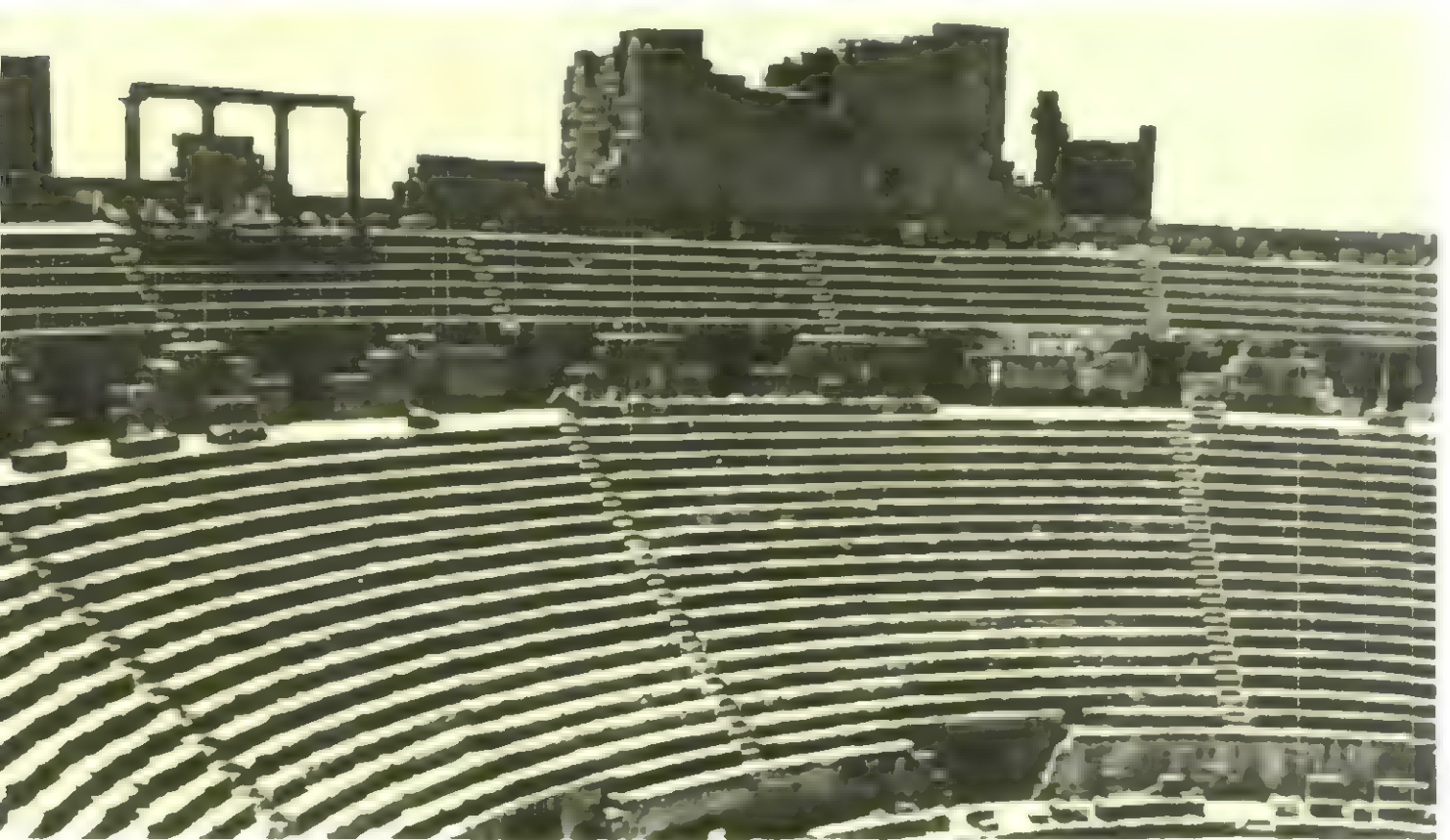




قذائف حجرية كن سكان القلعة يستخدمونها في
صد عروات العدو في المعصور السيفه .



قوس النصر ، أو باب القنديل ، ويرجع تاريخ بنائه الى أوائل القرن الثالث الميلادي .



مسرح عام للقمم الرئيسي من المدرج الذي يجمع بين عظمة البهاء وقوته ، ويقع في منتصف القلعة .

وارتفاعه مع القاعدة أربعة عشر مترا ، وقطره
مائة وعشرين سنتيمترا .

والفقهاء . وهناك مدرسة ملحقة به بناها « أبو
منصور الأتابكي » عام (٥٣٠ هـ) قال عنها
البروفسور « سوفاجيه » انها المدرسة الوحيدة من
نوعها في سوريا من حيث الطراز الهندسي والنسق
المعماري .

من أقدم أديرة المدينة ، ومن المرجح أنه بني
في القرن الرابع الميلادي ، وهو يختلف في
تفاصيله العمرانية عن الأديرة الأخرى الباقية
في المدينة . وأجمل ما فيه قوس المذبح البيضوي
الشكل ، ويروي البعض أن اجتماع الراهب
بحيرى بالرسول العربي محمد عليه الصلاة والسلام
قد تم في هذا المعبد . وفي شرقي الدير تظهر
بقايا الكاتدرائية الشهيرة التي أسست عام (٥١٣ م)
والتي كانت تعلوها قبة يبلغ قطرها ستة وثلاثين
مترا .

وهو بناء ديني شيد في العهد الوثني ، ويطلق
عادة اسم « الكلية » على مثل هذا النوع من
الأنبنة ، ويتناقل أهالي بصرى أسطورة تقول
أن أحد ملوك المدينة بنى هذا القصر المرتفع
ليحفظ فيه ابنته الوحيدة من خطر الموت .
وكان الطعام يرفع إليها في السلة ، وفي إحدى
المرات رفّعوا إليها العنب وكان بين العناقيد عقرب
لسعها فماتت .

سميت بهذا الاسم لأنها كانت تزود قوافل
الحجاج بالماء ويبلغ طول جدارها الشمالي ١٥٦
مترا ، وجدارها الشرقي ١٢٤ مترا ، وتصل إليها
المياه من وادي الزبيدي . ويبلغ عمقها نحو
ستة عشر مترا .

يقتن اسم هذا الجامع بذكريات تاريخية
دينية إذ بركت فيه الناقة التي حملت أول نسخة
من القرآن الكريم الى ديار الشام ، وتقول بعض
الروايات أنه بني فوق الأرض التي نزل فيها الرسول
(صلى الله عليه وسلم) عندما جاء الى بصرى .
وبقي مدة طويلة مركزا ثقافيا يؤمه العلماء

من أوائل المساجد التي بناها المسلمون أيام
الخليفة عمر بن الخطاب ، وهو منسوب في
تسميته إليه ، وله ثمانية أبواب تؤدي الى المساكن
والأسواق ، وفي صدر المصلى آيات قرآنية
وزخارف عربية تعود الى القرن الثاني عشر الميلادي

يعتبر فريدا في شكله ودليلا بارزا على
حضارة العرب قبل العهد الروماني ، ويتألف
من قوس ضخمة له فتحة واحدة عريضة ،
وتتناظر النقوش الظاهرة على واجهته مع زخارف
البتراء .



جانب من الأروقة المنحوتة التي تشكل الجزء الخلفي من المسرح .

القَلعة والمَسرح

هي حصن أثري هائل ، لها أربعة عشر برجاً بنيت في الفترة الواقعة بين عامي (٤٨١ و ٦٩٤ هـ) . وهي محاطة بخندق يعلوه جسر مؤلف من خمسة أقواس يتقدمها جسر من الخشب يرفع عند اللزوم . وأهم ما فيها المدرج وهو المسرح الوحيد من نوعه في العالم ، ويقع في منتصف القلعة ويجمع بين قوة البناء وعظمته ، وقد أعد لتمثيل الروايات وإقامة الحفلات الدينية ، وقد أبدع مهندسوه في تشييده ونحت أعمدته ، ويصل ارتفاعه الى نحو ٢٠ متراً ، وتزيد مساحته على مساحة نصف دائرة قطرها ١٠٢ من الأمتار . وهو من المسارح القليلة التي لا تستند فيها المدرجات الى هضبات طبيعية ، وهو يستوعب أربعة عشر ألف متفرج ومقسوم الى ثلاثة أقسام يتوجها رواق مبني على

الطرز الدوري ، ويفصل بين هذه الأقسام ممر عريض يشكل حاجزاً يمنع اختلاط المتفرجين ببعضهم البعض ، أما عرضه فيبلغ ٤٥ متراً ونصف المتر من الداخل و ٥٤ متراً و ٣٥ سم من الخارج . ويضم منصة للتمثيل ومدخلا للعازفين وثلاث حنايا كبيرة تزينها الأعمدة والتيجان والأفاريز الكورنية ، وهناك الممرات التي تشكل الكواليس وتقضي اليها أربعة أبواب كبيرة . ويشمل المسرح أيضاً خمس شرفات في كل جانب من جوانبه كانت مخصصة للملك والحاشية . وقد كان العرب الأنباط يقيمون في مسرح بصرى أعياداً موسمية مرة كل أربع سنوات ، تشبه الى حد ما الألعاب الأولمبية اذ كانت الوفود والفرق الرياضية آنذاك تؤم المدينة من كل مكان . أما تاريخ بناء هذا المدرج فيعود الى النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي .

لقد تم حتى الآن كشف جميع أجزاء المدرج وأصبح مهياً لأحياء الحفلات والمهرجانات الفنية الكبيرة فيه ، وقد قامت بعض الفرق الموسيقية والفولكلورية فيه عدة حفلات .

هذا وتتجه النية الآن الى الكشف عن معالم مدينة بصرى القديمة وبعثها من ركام القرون خلال فترة لا تتجاوز الخمسة عشر عاماً وذلك بعد أن يتم نقل سكان المدينة الى مكان آخر تمهيداً لبدء عمليات الكشف عن أجزاء هذه المدينة القديمة ومعالمها الأثرية .

وتعد بصرى (تدمر ثانية) ، وإن الانسان ليذهل حين يرى في هذا الموقع الجاف صروحاً حضارية تتمثل فيها أعلى مستوى عرفه فن البناء والهندسة المعمارية . ولهذا كان لا بد من اخراج هذه المدينة المندثرة وكشفها أمام علماء التاريخ والآثار .



بعد أن تم كشف جميع أجزاء المسرح ، أصبح مهياً لأحياء الحفلات الشعبية والمهرجانات الفنية الكبيرة .

وردة بلال

شاعر عمر فهد بن

في جوفها بعض السر
والصائد المجهول يرمي .. دون علمها الشباك
هذا
وانت الوردة الظمأى .. يورقها السهر
ويروحها طمأ وجوع
والفصن ناجي الفصن .. مال اليه قربه النسيم
زحف الأراكة للأراك
في الليل ، أرخى السر .. يعلم بالصباح بفجره
في الفجر ، غطى نوره .. تلك البطاح بنوره
في وشوشات الماء .. سابق نهره ورعى القمر
في الزهر ، في أحلامه
في كل طرف في الهوى .. مستمتعا بغرامه
فيما ترين هنا .. هناك
فيما عدلك اليوم .. ساجية الواحظ والوطر
في التبت في أعراقه .. حول الغدير به القطيع
يشغو ويفترش النجيل
وبه الرعاة النافخون الناي .. في ظل النخيل
رقصوا تلفهمو الظلال .. تسابقت بين التلال
ولكل والهة سميع
إلاك أنت الوردة الحبرى .. تجاوزها الجميع !

* * *

يا وردة وسط الربيع .. بلا ربيع
عاشت على الذكرى البعيدة .. حيث غطاها الصقيع
في غصنها النائي البعيد .. ترنحت ، واستقبلت
قبل الخريف حريفها
وتنسمت ريح الشتاء المستبدة بالورود
فذوت هناك وحدها

ولهى

تعيش بركنها .. آمالها وغرامها
ذكرى حبيب غائب .. لا لن يعود
ولن يعود
حتى يغطيها الصقيع .. وحيث يدفنها الجليد
وقببت تستأنى الربيع الحلو .. تسأله الرجوع
تواية .. تدعو دموع الأمس .. لا تجد الدموع !

أنوار ، يا راد الضحى
يا وردة بقم الربيع
نامت على أغصانها .. رفاة
تهوى الغروب .. ولا تحن الى الشروق
ظمأة .. رجافة الشفتين .. يابسة العروق
حبرى .. تعيش بركنها .. في غصنها .. النائي البعيد
نشوى .. تلوذ بصمتها .. وبسرها
تجتاز مأساة الهوى
مر الفجيرة والنوى
بقية .. تجترها من عمرها
من ذكريلت في عشوع
تجبا بها أمل الرجوع .. الى حبيب لن يعود
وقببت خافقة الضلوع .. تعيش ماضيها السعيد
فكأنها بين الورود الضاحكات .. بلا حدود
اللاعبات مع الشروق .. اللاهيات مع الغروب
في الفصن ذابلة مضت .. وسط الحقول
غريبة .. في صمتها .. في ركنها
في هجعة القلب الوحيد .. وطلعة اليوم الجديد
طيف من الماضي تررب هائما
عبر الحقول الظامئات الى المياه
بين المصل والمعابد .. خلدت أستار الحياة

* * *

وكانها دون القلوب الخافقات مع القلوب
في الناس غير الناس ماجوا في الدروب
في الدير .. واهبة .. مشت
تعلو الثرى بوشاحها
وتجر فضلة ذيلها .. رمزا الى أفراحها
يوما من الأيام .. غالت الستون .. تلطخت بجراحها

* * *

أنوار ، هذا الروض غنى .. واقصا نغم الهوى
بالحسن .. بات الحسن في أفيائه متجددا
للحب فيه مجددا في نفسه .. سبب الجوى
حتى يعيش الحب نهب الحسن .. متصل الحراك
في زقزقات الطير .. غنى لحنه وجرى هناك
للطير يلهو لاعبا .. أو ناظرا طرف الشجر

علمني الحياة

بفلم الاستاذ محمود ابو ربه

حاشا خطاه الى يتابع العلم أيا كانت ، طالبا العلم ولو في الصين . ولا نقصد بالعلم معناه الضيق ، وانما نقصد معناه الواسع الرحيب الذي يتناول المعارف جميعا ، ويكون على الضد من لفظة « الجهل » . أن القيم الحقيقية لا بد أن تمكث في الأرض وترعرع فروعها في السماء . فالمعاني الخلقية النبيلة جميعا ، من حق وعدل وانصاف ومرحمة وعطف ومعروف وما إليها ، قد يفتأت عليها في زمن أو في أزمنة ، ولكنها تظل محتفظة بجوهرها الأصيل معلنة عن نفسها في كل أوان ، تتجدد اشراقتها بعد ما تزول المحنة الطارئة . وقد عرفت في حياتي قيما أهدرت في ساعة نحس ، ولكن الله مد في عمري فرايت تلك القيم تستعيد ألقها وبريقها بل سلطانها ، كما هو الظن بها . فلا يتزعزعن إيماننا بالقيم الرواسخ ، مهما اهتزت في أوقات عارضة ، ولكن واثقين من أن الغلبة للحق مهما طال الأسد .

وعلمتني الحياة أن ألتبس المذر وأصفيح عند المقدرة . فالتناس جميعا - وأنا معهم - يخطئون في ساعة غضب أو في فورة حماسة أو في حالة استفزاز ، وإذا كنت أتوقع من الناس أن تعذر ما لا يروق لهم من تصرفاتي ، فلا أقل من أن أكون لهم عذرا صفوحا . فالصفيح من الشائيل الإنسانية السامية التي يصح للمرء أن يتجمل بها ، يقابل ذلك أن ضبط النفس هو من الخصائص النبيلة التي يحق للناس أن تستوصي بها في مواقف الانفعال .

وعلمتني الحياة ألا آخذ الأمور بظاهرها البراق ، وألا أنظر الى الحياة نظرتي الى أمور مسلم بها لا تقبل جدلا . فمن صميم الصواب أن يعمل المرء على التغلغل الى الأعماق ليكشف على الحقائق التي لا ترى بالعين المجردة ، ومن المعجبة أن يناقش القضايا مناقشة تبصر وحكمة ، ليستخلص آراءه بعد الدرس والبحث والفحص وانعام النظر . فالحقيقة بنت البحث والاستقصاء ، والصواب هو ثمرة الموازنة الدقيقة بين جميع العوامل في غير تحيز أو هوى . وعلمتني الحياة أن المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه ، وأنه - مهما بلغ من شأو - لا يستغني عن المشورة السديدة والنصيحة الخالصة . ولذلك كنت في مراحل عمري المختلفة - وما زلت - أشد المشورة وأسعى الى النصيحة لأستهدي بذلك في ما أنتهي اليه من قرار . ولا يشينني أن أكون التمت المشورة من أبنائي أو من هم في حكم الأبناء ، فالحكمة ليست حكرا على أحد ، والرأي السديد يمكن أن يكون في متناول كثرة من الناس .

وعلمتني الحياة ألا أترمت أو أتعصب أو أغلو في العناد ، وأن أوسع صدري ما استطعت أمام ما يتنافر من آراء وما يتناثر من أقوال ، وأن أدرك أن الرأي لا يقرع الا بالرأي ، وأن الحججة لا تغل الا بالحجة ، وأن الحقيقة تنجلي بوجهها الباهر بعد مثل هذه المناظرة الحرة النظيفة الشريفة بين الآراء .

وعلمتني الحياة ألا أسارع الى المدح والثناء الطيب على من يأتي أمرا ظاهره صالح ، أو قام بعمل يبدو

مخايل الشرحى تعوذت من ذميم صفاته . وعرفت بين هذا وذاك أمشاجا من أخلاق الناس ، رصيت عن بعضها وسخطت على بعضها الآخر ، ولكن الحياة علمتني أن أتخذ في معاملتي مع الناس ما يتلاءم مع كل حالة ، فالأين أهل الخير ، وأحاشن أهل الشر ، وأتوسط الأمر مع أهل الوسط .

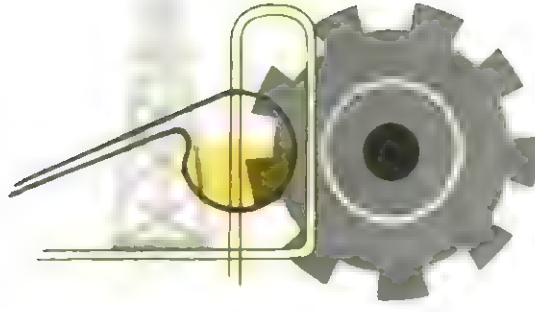
وعلمتني الحياة أن الناس أذواق ومشارب وعقول ، وأن هذه الأذواق والمشارب والعقول لا تتطابق الا في القلة النادرة . فمن الناس جامع مال ، ومنهم طالب شهرة ، ومنهم آخذ علم ، ومنهم الزاهد ، ومنهم المفتون بمباهج الحياة ، ومنهم المفقور على العمل الإنساني ، ومنهم الساعي الى الهزل ، وهلم جرا . وتلقا هذا الخليط من المشارب والأذواق والمقول ، لا بد للمرء من أن يدرب نفسه على شكل من أشكال التكيف المقبول ما دام التعامل مع الناس أمرا لا مفر منه . أما اذا كان ثمة سبيل الى اجتناب التعامل مع من لا مهادنة بين أهوائه وأهوائي ، فإني أسلك تلك السبيل لأن البعد عن الأحق من آيات الفطنة .

وعلمتني الحياة أن خير ما يتسلح به المرء هو أن يثابر على الدرس والبحث والاستقصاء من المهدي الى اللحد . وكل علم ينفع ، وكل درس يعين المرء على خوض معمران الحياة بمزيد من الثقة وكثير من حسن التقدير . ولا ضير من أن يكون العلم لوجه العلم وحده ، لا يبتغي المرء منه أنقابا ولا يكون نكأة الى مقنم مادي أو فائدة معجلة . وغير خاف أن العلوم في عصرنا الحالي قد شملت أطرافها وهددت وتنوعت . ومهما حصل المرء منها ، فقسطه لن يكون الا متواضعا جد التواضع . ولكن حسب المرء رضا أن يعيش في الحياة طلاعا الى مزيد من المعارف ،

سنة الحياة بأن أذف بتفسي في خضم الحياة المتلاطم لأصبح فيه حتى أبلغ الساحل ، ويأتيني اليقين اذ ليس لي عش الا بين أمواجها . وهذا الخضم واسع فسبح ، فيه من المخلوقات ما لا يعلمه الا الله من انسان وحيوان ونبات . وهذا الانسان وحده تختلف طباع أفراده وتباين مشاربه وأهواؤه ، ولا بد ان أراد أن يعيش معه من أن يتسلح بأسلحة الحياة حتى يستطيع أن يتخذ له سبيلا يسلكه في هدوء ودعة .

وبعد أن أخذت ما أتيح لي أخذه من العلوم ، وإن كنت لما أفرغ من الدرس والتحصيل ، أنشأت أتلقى عن الحياة دروسها وتجاربها . فماذا علمتني الحياة من دروس ، وماذا أعطتني من عبر ؟ لقد كان أول درس تعلمته من الحياة هو أن أستقوي بالله على مجابهة ما تطالعنا به من محن ، وأن ألتبس بالإيمان سبيلا الى راحة الضمير وسكينة النفس ودعة الحياة . فالذي لا ريب فيه أن الناس جميعا ابتلوا في سائمة من سوانع العمر أوصابا تفوق طاقة البشر على احتمالها ، ويستعصي على المرء دفعها ، فلا بد اذن من الاعتصام بجعل الله ويقينه لمداخلة هذه الأرزاء ومغلبة هذه المصائب . وألحد الله أنني بعد كل ما نلت في عمري الفذهب ، ما زلت كبير الثقة بالله عز وجل ، أشكر له معامده ، وأحمد له صناعته ، وأستعين به في جميع أموري .

أما الناس ، فقد عرفت منهم صنوفا وألوانا عزيز تنفيدها في تصانيف وتقاسيم ، لأن كلا منهم متميز بخلاله ، مستقل بصفاته ، لا يتكرر مطابقة مع غيره . فقد عرفت من غلبت عليه شائيل الخير حتى شابه صورة الانسان المثالي ، وعرفت من غلبته



هل مرج جديد؟

توصل مهندسان في إحدى الجامعات ، الى اكتشاف طريقة حديثة في هذا الشأن ، تقوم على استخدام مجهر إلكتروني لقياس الطاقة الباعثة على تماسك ذرات المعادن وتقدير فعاليتها . فهذا الاكتشاف يمكن أن يكون بمثابة حافز جديد على تطوير أنواع من المعادن أكثر قوة وأخف وزنا يصلح استخدامها في أغراض الفضاء .

وترتكز هذه الطريقة الجديدة ، بصورة جوهرية على أساس وجود مقدار معين من الطاقة المخزنة تحتفظ بها المعادن عادة أثناء الطرق . وهذه الطاقة الكامنة يمكن قياسها أو التنبؤ بمقدارها من خلال سلسلة من الحسابات والملاحظات المجهرية الالكترونية المعقدة .

وقد أظهرت التجارب التي أجريت على بعض أنواع المعادن المطروقة ، أن هناك خطوطا أو شقوقا بلورية بارزة قد شوهدت في جوفها ، تشبه الى حد كبير الأسلاك المعدنية المتشابكة المستخدمة في صنع أقفاص الدجاج ، مما يجعلها أكثر قوة وتماسكا .

ان تحديد قوة المعادن ومدى الاستفادة منها ، يعتمدان ، على حد قول المهندسين صاحبتي الاكتشاف ، على نسبة الطاقة اللازمة لتماسك هذه الخطوط أو الشقوق البلورية في أجوافها . فقياس الزوايا الواقعة بين هذه البلوريات ، سوف يتسنى لرجال المعادن والمهندسين المختصين ، اكتشاف طرق أفضل لتقوية المعادن اصطناعيا ، وذلك ببذل كميات هائلة من الطاقة كأساليب الطرق بالمتفجرات أو الضغط المسبق .

من بين مواد البناء الحديثة التي شقت طريقها الى الأسواق مؤخرا نوع من الحبال مصنوع من ألياف الزجاج ، يعرف علميا باسم « غلاستران » (Glastran) . وقد صرح أحد المسؤولين لدى الشركة المنتجة لهذا الصنف من الحبال ، بأن هذا النوع الجديد يضاهي في متانته وقوة احتماله ، الأسلاك الفولاذية التقليدية المماثلة له في السمك ، وهو ، فضلا عن ذلك ، أخف منها وزنا بنحو أربعة أمثال .

ومادة « غلاستران » التي يصنع منها هذا النوع الجديد من الحبال ، مصنوعة من ألياف زجاجية مشربة بصمغ لندن ، تنسج على شكل فتائل يجري جلدها كما تجدل فتائل أي حبل عادي . ومن ميزات هذا النوع الجديد من الحبال عدم قابليته للتآكل ، وقابليته العالية للشد والمط ، مما يؤكد رواجه وتنافسه الفعال لأنواع الحبال والأسلاك الفولاذية التقليدية الأخرى .

مخبر جديد لتحرير قوة الإنسان

من الأمور العلمية التي يحاول العلماء كشف النقاب عن غوامضها ، السر الكامن في تركيب المعادن . فهناك أنواع من المعادن تصيح ، لدى طرقها أو ضغطها ، أكثر صلابة وقساوة ، في حين أن أنواعا أخرى تتكسر وتتطاير أجزاؤها . ان هذا التصرف الغريب الكامن في المعادن ، لم يعد بالنسبة لرجال العلم ، أمرا مبهما . فمؤخرا

نافعا . بل يجب أن ألزم الأناة والتمهل حتى يتبين ما وراء ذلك ، اذ قد يكون الباحث على هذه الأفعال الظاهرة أمر عسبي أو غرض خفي يراد به الشهرة وحسن الأحدث أو مآرب أخرى .

وعلمتني الحياة أن المال يذهب ويجيء ، أما السيرة الطيبة فهي الارث المبارك الذي يتركه السلف للخلف ، ويتوارثه من بعدهم كل جيل آت . وصفوة ما علمتني الحياة بعد هذا العمر ، أن التسامح خير دواء يقوم بين الناس ، وأن حكم الآية القرآنية الكريمة « ادفع بالتي هي أحسن » يجب أن يسود ويحسم . وأن استحصال القوة الحقة ضد الغير ظلم لا يستقيم مع العدل والحق ، وغير من ذلك أن يتفاهم الناس بالحنى ويتعاملوا بالانصاف . وأن أقوى رباط يربط الناس بعضهم ببعض هو التعاون على البر والتقوى وكل ما ينفع بني الإنسان ، وأن يتعدوا ما استطاعوا عن التعاون على الاثم والعدوان . وأن التفاؤل خير من التشاؤم ، والأمل خير من اليأس ، وصدق من قال « لا حياة مع اليأس ولا يأس مع الحياة » .

وأن الإنسان لو استطاع أن يجعل من نفسه مصباحا ينير الطريق لمن حوله ، فانه يعتبر من خير الناس .

الاعتماد على النفس والعمل هو دليل الإنسانية الحق ، اذ هو سر الحياة الذي يسري في كل كائن حي ، اذ تسيره القوة الكامنة فيه من غير أن يدفعه أي دافع .

وكذلك علمتني الحياة أن الحياة على ما فيها من شر لا تخلو من خير لا يبيح أن تجده موفورا ، ولا يعز عليك أن تصيب منه أطرافا . وأن المحبة الإنسانية في جوهرها ، فاذا وقعت بين اثنين فلا تسل عن أسبابها ودوافعها .

كما علمتني الحياة أن من الناس من يأخذها على علاقتها ، ولا يعترض على شيء فيها ، ومنهم من يحاسبها على كل ما لا يوافق هواه منها ، وقد يكون الأول أهدأ حالا وأصلح حالا من الآخر . وأن الصديق الوفي كالواحة الخضراء يتولى الى ظلها المكدود من هجير الحياة . فاحرص على انتقاء أصدقائك من هذا الطراز المجبول بالوفاء .

وعلمتني الحياة أنه ليس كل ما يجمع الناس عليه يكون دائما صوابا أو حقا ، فقد يكون الصواب والحق أحيانا مع القلة . فليكن ديدنك أن تبحث عن الصواب حيثما كان ، وأن تكون مع الحق في كل أوان .

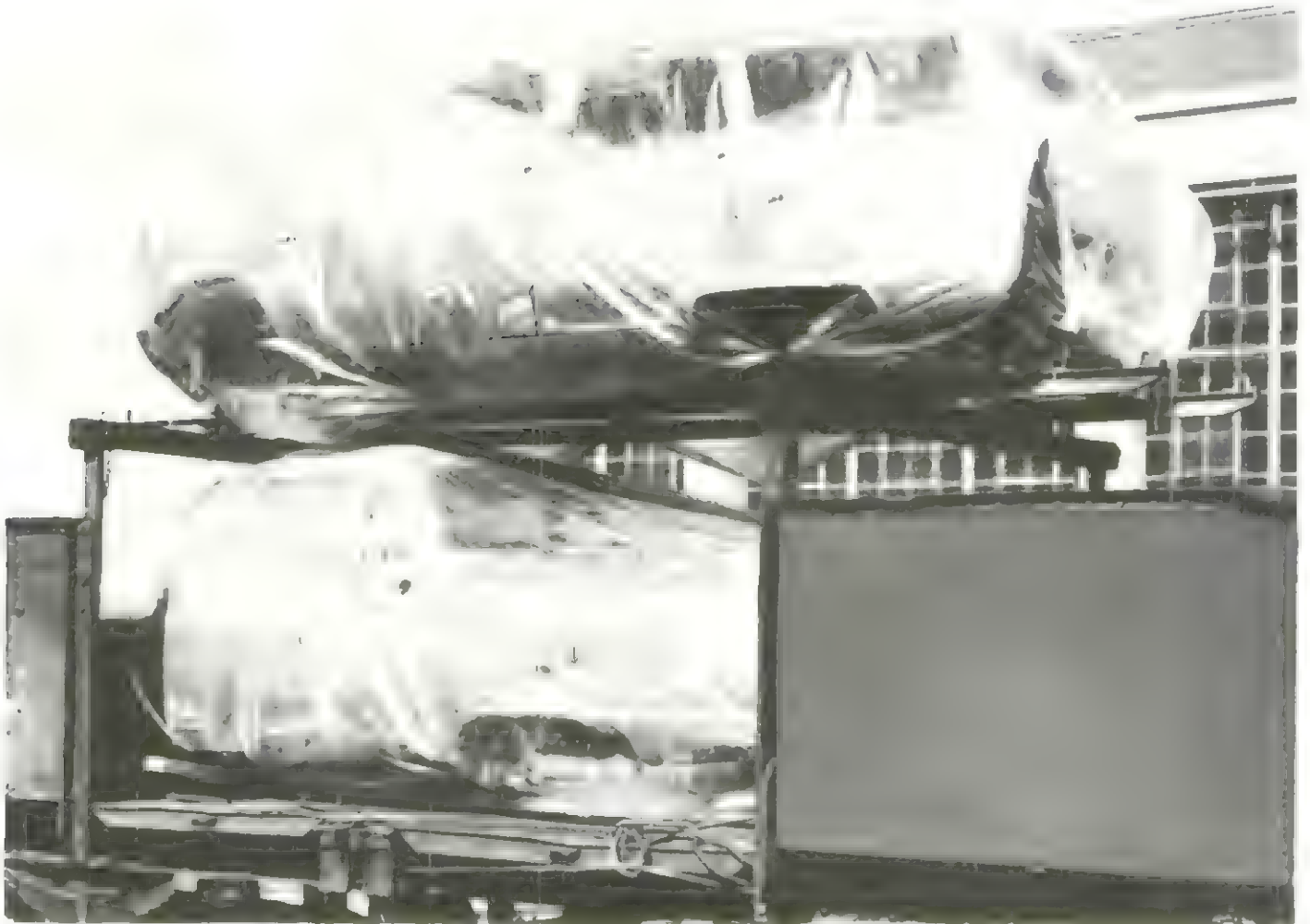
هذا ذرو قليل مما علمتني الحياة وخرجت به من دروسها وعبرها ، لأن ما تعلمته منها وما أخذته عنها كثير حتى أصبحت بها ملما خيرا .

ولا يفوتني أن أذكر أن كل هذا الذي تعلمته من الحياة هو في جانب مما حصلته من علم وأدب ، وذلك بأن التثقيف الذاتي لا يقف عند تحصيل العلم ودراسة الكتب واستيعاب ما في الأسفار ، وإنما هو التمرس بالحياة والاخذ عنها والتخرج في تجاربها .

دور اللدائن

في تطوير صناعة التغليف واللف

تعتبر صناعة تغليف البضائع وفيها من أهم ما شملته التطورات التي طرأت على حياتنا اليومية بفضل ما أحرزته صناعة اللدائن (البلاستيك) من تقدم ونمو في السنوات الأخيرة ، وذلك لما تتميز به اللدائن من صفات القوة والخفة والملاءمة الصحية وسهولة التشكيل والتلوين وغيرها مما يجب توفره في أي مادة تستعمل لأغراض اللف والتغليف .



تنطى السيارات المصنوعة حديثا بأغطية من اللدائن قبيل نقلها ، وذلك لحمايتها من الرطوبة والغبار أثناء النقل .

مجال واسع لاستخدام اللدائن في أغراض الفن والتغليف

تحتل اللدائن اليوم مركزا ممتازا في صناعة التغليف في شتى أنحاء العالم . ففي الولايات المتحدة ، حيث نمت هذه الصناعة نموا ملحوظا ، يعتقد أن رطلا من كل ثمانية أرطال مما يصنع من البلاستيك يستعمل في أغراض الفن والتغليف . وقد حذت البلدان الأوروبية حذو الولايات المتحدة في هذا المضمار وفي استراليا-مثلا- تشكل اللدائن ١٢ في المائة مما يدخل في صناعة التغليف من مواد ، وتزداد هذه النسبة بمعدل ٢٠ في المائة سنويا .

ومن الجدير بالذكر أن صناعة الزيت ، كانت ولا تزال ، السبب المباشر لهذا الاطراد الملحوظ في صناعة اللدائن ، فهي تعتمد على ما تنتجه هذه الصناعة من مواد أيدروكربونية كانت سابقا تستخرج من خميرة الدبس ، التي يحصل عليها عند تكرير سكر القصب . وهذه المركبات البتر وكيمياوية ميزة فريدة ، وهي أنها متوفرة بكميات كبيرة وبأسعار رخيصة . ومن هذه المواد تصنع اللدائن بأنواعها : كالإيثيلين الذي يمكن تحويله الى أوعية لدنه ضخمة ، أو الى رقائق يستفاد منها في أغراض مختلفة ، والبوليسترين والبوليثلين واللاستايك التي تصنع منها الأوعية المتينة أو الصلبة ، ورقائق

الكثير أعمال التغليف فيما مضى تقتصر على مجرد حفظ البضائع المعروضة للبيع ورزما . وكانت تستخدم لذلك غالبا ، أوراق الفن الصفراء أو أوراق الجرائد ، وفي بعض الحالات أوعية يحضرها الزبائن من بيوتهم . ولكن تطور الأساليب التجارية ، وتعدد المتاجر التي يخدم فيها الزبون نفسه ، وتنوع أصناف البضائع غيرت طرق التغليف تلك وطورتها . وأصبح كل ما يعرض في المتاجر مغلفا ومطبوعا عليه ما يوضح نوعه وسعره بشكل أنيق جذاب يلفت نظر الزبون ويدفعه الى الشراء . وقد صرح مساعد رئيس أحد معامل التغليف أن دراسة أجريت في هذا المجال ، أوضحت أن ثلث المستهلكين ينصرفون عن نوع ما من البضائع ، لأن نوعا مماثلا يجذبهم بأناقته غلافه وحسن تلوينه .

ظل الورق بأنواعه وصفائح الخشب ورقائق الزجاج و « السليكون » والقصدير ، لسنوات عديدة ، مواد تغليف أساسية ، وقد استطاع مصمموا أغلفة البضائع الاستفادة منها الى أقصى الحدود . ثم تطورت صناعة التغليف بظهور أنواع أخرى من أوراق الفن ، ولا سيما الشفافة ، كأوراق « السوليفان » المستخرج من لب الشجر . ومع أن هذه المواد محدودة الاستعمال ، لأن لها صفات خاصة تحول دون استعمالها في أغراض متعددة ، إلا أن كميات كبيرة منها تستعمل في هذا المجال . والآن أصبح لظهور اللدائن بميزاتها العديدة ، كقابليتها للتكيف حسب الشكل المرغوب وخفة وزنها وشفافيتها ، أثر كبير في توسيع صناعة التغليف وتطوير وسائلها وأساليبها .



رقائق « البوليثيلين » ضرورية في كل مطبخ ، وذلك لأنها تستخدم في أغراض منزلية متعددة .



صناديق مصنوعة من اللدائن تمتاز بخفة وزنها، وهي مصنوعة من البوليثلين ذي الكثافة العالية

السليلوز والبوليثلين ، وهذه تعتبر من أهم خامات التغليف وأكثرها استعمالاً .

وقد بدىء باستعمال رقائق السليلوز استايت في لف الملابس وتغليف مستحضرات التجميل . كما استخدمت أكياس البوليستيرين لحفظ أنواع المربى والعسل والقشدة وبعض العقاقير الطبية . ومن مميزات البوليستيرين أنه قابل للتلوين وغير سام ، ويمكن صنعه في أحجام مختلفة وبأسعار معقولة .

ولعل البوليثلين ، القليل الكثافة ، من أكثر أصناف اللدائن شيوعاً في أعمال الف والتغليف ، لأن رقائقه شفافة وقوية ومتماسكة ، ولا ينفذ منها الماء . ومن خواص هذه الرقائق أنها غير سامة وقابلة للطباعة عليها . ويمكن صنعها في أحجام وأشكال عديدة . كما أنها تسمح للأكسجين وثنائي أكسيد الكربون بالنفاذ منها مما يساعد على حفظ المأكولات فيها لأوقات طويلة .

أما البوليثلين ذو الكثافة العالية ، فإن له استعمالاً أخرى متعددة لأنه مقاوم للحرارة والتفاعلات الكيميائية ، ولأنه خفيف الوزن متعدد الأصناف والألوان .

يستعمل كلوريد البوليثلينيل ، وهو أحد مشتقات البوليثلين ، في صنع القوارير اللدنة الصلبة الشفافة لحفظ الأطعمة ومحاليل التنظيف والمذيبات . وبعادل وزن القارورة المصنوعة منه ٢٠ في المئة من وزن قارورة ماثلة مصنوعة من الزجاج .

وفي أوروبا تستعمل رقائق البوليثلين في تغليب الزبد والسمن النباتي بينما تستعمل رقائق البوليستيرين في صناعة فتحات المغلفات ، الخاصة بالمراسلات التجارية (Window envelopes) . أما مادة البوليبرولين التي تتميز بشفافيتها التامة ، وعدم قابليتها للتقلص أو التمدد ، فتدخل في صنع المغلفات الصغيرة الأنيقة المستعملة في تغليف بعض أنواع البضائع والمواد الثمينة . وهي اقتصادية جداً ، إذ يعطي الرطل الواحد منها مساحة من الرقائق تفوق ما يعطيه وزن مماثل من أي مادة أخرى من اللدائن . ويستعمل النايلون الذي يمتاز بعدم تأثره بالحرارة المرتفعة ، وبقوته الفائقة ، وبمقاومته لرشح الزيوت أو الشحوم ، في الأغراض الطبية وبعض أغراض التغذية .

إن الجزء الأكبر مما تنتجه مصانع اللدائن في العالم أجمع يستهلك في أغراض الف والتغليف . ولكن هذا لا يعني بطلان استعمال مواد التغليف الأخرى ، إذ أن اللدائن تتضافر معها على تنمية هذه الصناعة وتطويرها . ففي كثير من الحالات تبطن صفائح المعدن أو الخشب باللدائن قبل حفظ المواد فيها ، وكثيراً أيضاً ما تختم القوارير والأوعية الزجاجية بسدادات مصنوعة من اللدائن .

هذا ، وقد ارتبطت صناعة اللدائن ارتباطاً وثيقاً بتكنولوجيا التغذية الحديثة كالتجميد ، والتجفيف ، والتعبئة ، والختم ، وغير ذلك من الأمور التي تستدعي استعمال المزيد من اللدائن . لذلك كثيراً ما نرى أن رقائق اللدائن المركبة . وهي رقائق تصنع من طبقات متعددة من السليلوز والبوليبرولين والبوليثلين وكلوريد البوليثلينيل تستعمل ، بالإضافة إلى مواد التغليف الأخرى كالورق وصندئح الحشب ولورق المقوى ورقائق المعدن .



تصنع هذه الأوعية الضخمة من مسحوق البوليثلين، وهي تستعمل لأغراض متعددة.

في مختلف أعمال تغليف البضائع ولقها . وتصنع هذه الرقائق بطريقة خاصة لتلائم ما ستحتويه من بضائع أو مواد غذائية أو غيرها . كما توضع كل طبقة منها في مكانها المناسب لخدمة غرض معين . فالبوليثيلين — مثلا — يعطي الرقائق صفة القوة والتماسك . وقد تم أخيرا إيجاد أسلوب جديد لصناعة هذه الرقائق بحيث تبدو وكأنها صفيحة واحدة سميكة ، وذلك بتعريض طبقات اللدائن التي تتألف منها للضغط الشديد لفترات طويلة .

وقد تعدت استعمالات اللدائن ما ورد ذكره الى مجالات أخرى ، كصنع أواني أدوات الجراحة . وقوارير المواد الكيماوية والأغلفة الداخلية لبراميل المواد الكاوية ، التي تستعمل في الصناعات الثقيلة . وأغطية فوهات مدافع السفن الحربية . وغيرها من الاستعمالات التي لا حصر لها . ولعل أحدث ما أوجدته هذه الصناعة من استعمالات اللدائن ذلك النوع من الأوعية المعروضة في أسواق بريطانيا حاليا . والتي تستعمل لحفظ مشتقات البترول ، وهي غير قابلة للإنفجار مما يجعلها من أكثر الأوعية ملاءمة لهذا الغرض . هذا بالإضافة الى أنواع معينة من الأكياس المصنوعة من أنسجة اللدائن . والأوعية الخاصة بالسوائل الغازية المضغوطة كمصفقات الشعر وغيرها .

وما دام البحث العلمي مستمرا . فإنه من المنتظر أن تظهر أشكال جديدة من اللدائن . وبالتالي استعمالات جديدة لها . ويعود الفضل في ذلك للزيت ، مصدر المواد الأولية اللازمة لصناعة اللدائن بشتى أشكالها وسائر أنواعها .

ح . ح

باذن خاص عن مجلة « بتروليوم غازيت »



يعتمد على « البوليسترين » في صنع صناديق وأوعية شفافة غير قابلة للكسر تستعمل لحفظ الأدوية والمقايير الطبية .

الزمخشري

تأليف : الدكتور أحمد الحوفي
عرض وتعليق الأستاذ أبو طالب زيان

يحدثنا المؤلف الفاضل : أن الزمخشري ، لم يصل كغيره الى المكانة التي كان يجدها .. ويسوق دليلا على خيبة مسعاه ، قصيدته التي كتبها الى الوزير نظام الملك . يصور فيها ضيق نفسه . وبرمه بعلمه وفضله وكفايته ، التي لم توثقه المكان الرفيع الذي يستحقه . على أن الدكتور الحوفي لم يثبت القصيدة كلها ، واكتفى ببعض منها ، وان كان قد أتى على ما يريد من تصوير نفس الزمخشري . ونعاسه . وعتابه لنظام الملك ، والسبب في عدم التفاته اليه . ورجله الى خراسان ، واتصاله بالملك ، وخبية رجائه فيهم ، وتوبته عن المديح . واتجاهه الى مكة مشوقا راجيا الصفح من ربه على ما فرط منه ، معترضا الإقامة بها . غير أن هذه الإقامة الى جوار بيت الله لم تدم طويلا . فعادوه الحزن الى وطنه ، الذي تحسّر في الرجوع اليه ، فعزم على الرحيل مرة أخرى الى بلد الله ، وفي منطلقه اليها ، يعرج على الشام ويمدح تاج الملوك « بوري طغتكين » صاحب دمشق . وابنه « شمس الملك » ، الا أنه كان مدحا خالصا لله ، ثم يمضي الى مكة ويعكف على تفسيره « الكشاف » .

ولكن هل دامت هذه الإقامة بالزمخشري الى آخر عمره ؟؟ اللهم لا .. فقد عادوه الشوق ، وبرح به الحزن الى وطنه ، فسافر الى خوارزم وعرج على بغداد . ثم أقام ببلده الى أن حم به القضاء . وانتقل الى جوار الله عام سبعة وثلاثين وخمسماية من الهجرة ، لا كما انتهى اليه المؤلف من أنه العام الثامن والثلاثون بعد الخمسماية على وجه لا يجمل النقاش فيه .

وخوارزم وما وراء النهر وغيرها ، تخضع للحكم الغربي حتى جعلت تستعرب ، وتكاثرت فيها بذور اللغة العربية والأدب والعلوم الإسلامية . وسرعان ما نبئت وبسقت فروعها . وأبنت ثمارها .

فلا غرابة أن كثر العلماء والأدباء . وكثرت المدارس ، وجدّ العلماء والمؤلفون والمدرسون في التعليم والتثقيف والتأليف ، وعلا شأن المكتبات ، وحرص الحكام على مجاراة الركب المتقدم بتقريب الشعراء ، وتشجيع الحركة الفكرية ، مباهين جيرانهم من السلاجقة ، ومنافسين سلفهم بحسن الأحدثنة وبعد الصيت والهيبة .

ولقد خصص الدكتور الحوفي : خوارزم بفصل من هذا الكتاب ، تناول فيه الأدباء والعلماء الذين أثروا الأدب ، وأثروا في العلم . وأنتجوا بالعربية والفارسية . وطريقة التأليف والمذاهب التي سادت فيما حول هذا الاقليم . وغلبة بعض المذاهب على بعض ، وموقف خوارزم من الحياة العلمية والأدبية .

الزمخشري بزمخشري ، وكان مولده في أزهي الفترات التي نهضت فيها الآداب والعلوم ، ثم رحل يطلب العلم الذي يطمح اليه ، وعين نفسه به بالمكانة المرموقة والمناصب العالية . يساعده على ذلك . ذكاء لمّاح ، وتطلع واسع ، وارتقابه الى ما تسفر عنه تلك الحياة الجادة التي عاشها الزمخشري في مطلع حياته ، وإبان نشأته وصباه .. ولكن هل نال ما كان يحلم به ، وتبوأ ما كان يتوق اليه ؟؟

أدري - عليم الله - أيهما الزمخشري : محمود بن عمر بن أحمد ، أم أحمد ابن محمد بن الحوفي ، فكلاهما زمخشري عصره ، وعالم وقته ، ورائد فنون مختلفة من العلم والأدب والبيان .

والواقع أن الدكتور الحوفي ، يمضي في هذا الكتاب ، على سبيله في التأريخ . ونهجه في البحث ، فيحاول رسم الصورة الجسدية والنفسية والخلقية لبطله ، ويضعه بين يديه ، حتى لا يدع لغيره من الباحث . ثغرة ينفذون منها ، أو حيلة يتحيلون بها في الدراسة ، أو سندا من تلك الأسناد الهشة التي يتعلق بها بعض الدارسين والغاوين ، معاودة الدراسة . أو تقليبها بغية التمام أو الكمال ..

تناول المؤلف الفاضل : خوارزم وموقعها ، ومكانتها بعد الفتح ، ووصفها في القديم ووصف المقدسي لها ، ووصف ياقوت وابن بطوطة . وبعض مدنها ، ومدينة « زمخشري » على وجه أخص . ثم أعقب هذا بكلمة مفصلة عن خضوع تلك البلاد زما غير يسير للحكم العربي ، ثم خضوعها للدولة السامانية التي عنيت باللغة العربية الى جوار عنايتها باللغة الفارسية ، وخضوع البلاد بعد ذلك للدولة السلجوقية . ثم للدولة الخوارزمية .

والذي يحمد للدكتور الحوفي ، أنه لم يفته في خلال هذا العرض التاريخي ، من استكناه حقائق هذا التاريخ ، أن يذكر السلاطين الذين أدركهم الزمخشري ، ولا الآثار الجليلة التي خلفها الوزير « نظام الملك » في تشجيع العلوم والآداب . والواقع أنه : « ما كادت خراسان

وما يزيد في نفع هذه الدراسة ، ويعظم أثر نفاستها ، أن المؤلف قد أورد أساتذة الزمخشري ، وترجم لكل منهم من باب التعريف بفضله ، ومركزه على وجه خاص في حياة صاحبه . فقد كان أستاذه محمود به جريير الأصفهاني ، فريد عصره ، ووحيد دهره في علم اللغة والنحو ، يضرب به المثل في أنواع الفضائل . كذلك سمع الحديث من شيخ الاسلام أبي منصور نصر الحارثي ، ومن أبي سعد الشقاني ، ومن أبي الخطاب بن أبي البطر ، وأخذ الأدب عن أبي علي الحسن بن المظفر النيسابوري ، ورحل الى بخارى ليستزيد من مناهل علمائها ، واجتمع في بغداد بالفقيه الحنفي الدامغاني ، وبالشريف ابن الشجري ، وزار أبا منصور ابن الجواليقي ، وقرأ عليه بعض كتب اللغة من فواتحها ومستجيزاتها ، وقرأ في مكة كتاب سيبويه وإن كنت أخالف الدكتور المؤلف في أن الزمخشري قد جلس جلسة التلميذ ، قبل أن يودع الحياة بخمس سنين ، وهو الرجل المعتز بعلمه ، الذي يرى أنه مهضوم الحق ، مهض الجناح في المنصب ، مسلوب المقام في الوظيفة .. وكيف يرى من هذه حاله ، وذلك عقله وتطلعه ، أن يعرف عنه أنه تلميذ وقد بلغ السادسة والستين من عمره . وبلغ شأوا بعيدا في العلم ، وصيتا لا يعدله صيت في ضروب الكلام ، ومختلف أفانين القول !!

من كان هذا حاله في العلم ، ومركزه بين أقرانه ، فلا يمكن أن يحصى عدد تلاميذه ، أو يحصر الذين تتلمذوا عليه ، وإن كان المؤلف قد أحصاهم ، وعدد أسماءهم وحصرهم فيما دون العشرين . وإن ناقض هذا ما قاله المؤلف نفسه في مقدمة الفصل الخاص بهؤلاء التلاميذ .. فقد قال القفطي : « ما دخل الزمخشري خراسان وورد العراق ، أو دخل أي بلد إلا اجتمع الناس عليه ، وتلمذوا له ، واستفادوا منه » .

ويقول القفطي كذلك : « انه أقام بخوارزم تضرب اليه أكباد الابل ، وتحط بفنائها رجال الرجال ، وتحدى باسمه مطايا الآمال » . ولقد أتى الدكتور الحوفي بثبت لمؤلفات الزمخشري ، وقسمه عدة أقسام : العلوم الدينية ، واللغة ، والنحو ، والعروض ، والأدب ، وهي في مجموعها سبعة وأربعون كتابا ، لا يعرف أكثرها ، أو لم تطبع ، أو لم يشتهر أمرها ، كما اشتهرت كتبه المعروفة المتداولة .

وليس من شك في أن التحديد الذي التزم به الدكتور الحوفي في إيراد هذه الكتب ، والثبت الذي أخذ نفسه به ، لم يكن من الحكمة أو من النصفة في هذا التأريخ والعرض ، فما لم يطبع هنا قد طبع هناك ، وما لم يتداول في بلد ، تداول في بلد آخر ، وما نحب لونه من ألوان المعرفة ، يرفضه أناس آخرون ، والعكس هو القاعدة التي تسود دائما في العرف والبلاد المتباينة ، فإذا قلت مثلا : ان كتاب « شقائق النعمان في حقائق النعمان » لم يعرف في مصر ، فليس معنى هذا أنه لم يعرف في العراق أو الحجاز ، فهو في مناقب أبي حنيفة ، وغير معقول ألا يعرف أهل الحجاز مناقب هذا الامام الأكبر ، ولا أهل العراق كذلك !

وقد يطبع الكتاب طبعة واحدة بنسخ قليلة ، وتتفد هذه النسخ في وقت قصير ، ويكاد يقضى على الكتاب ، ثم يستين أن هذه النسخ نقلت جميعها أو أكثرها الى بلد آخر ، يحرص على اقتناء هذا الكتاب ، أو يحب أن يستأثر به كما فعل بكتاب : « أعجب العجب في شرح لامية العرب » للزمخشري . فقد رأيت نسخة مطبوعة بالقسطنطينية في مكتبة الشاعر الراحل السيد « حسن القاياتي » منذ عشرين عاما ، أهداها اياه طالب في الأزهر كان قد جلبها معه في إحدى روحاته الى تلك البلاد ، وإن كنت قد سمعت أن هذا الكتاب قد طبع بالقاهرة طبعة أخرى ، ولكن أين هو وفي أي عهد ، وفي أي مطبعة ، إلا أن يكون كما ذكر المؤلف بالقاهرة ؟

على سبب واحد في رأيي ، هو الذي جعل الدكتور الحوفي يذكر جل كتب الزمخشري ويعقب عليها بأنها غير معروفة ، هو صعوبة الوقوف عند كل كتاب والتعريف به ، أو عدم الحصول عليه ، وهو بهم بتخصيص مادة هذا الكتاب . أن نجاح الدكتور الحوفي في تصوير الزمخشري ، والالام بمكوناته ، قد جعلته ينحاز على قدر وجيز نحو بطله ، فهو يناقش صفاته الجسدية وثقافته ، واعتزاله ، وعزة نفسه ، وموقف الزمخشري بين الطموح والقناعة ، وتدينه ، وتواضعه ، وحيه للعرب والعروبة ، وقسوته على مخالفه ، وعزوبته . ثم يقف وقفة طويلة في رحاب التفسير والتأويل ، والباعث على تأليف « الكشف » وبعض من نقل عنهم الزمخشري ، ويعترف بالاعتدال ، وأصول هذا المذهب ، ويعرض لكثير من تفاسير

بعض الآيات ، ويناقش في فطنة رأي هذا العالم وموقفه من هذه الفرق كلها .. كما لم يفت المؤلف أن يناقش العدل في رأي المعتزلة ، وحرية العباد ، والوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . واستكمالا لهذه الدراسة الماتعة ، لم يفت الدكتور الحوفي ، أن يثبت أثر الزمخشري في ميدان النحو ، واللغة ، والشعر ، والبلاغة ، والنقد ، وسبقه الى تقسيم البلاغة الى بيان ومعان وبديع . ولقد أرجع المؤلف تبرز الزمخشري في هذه القنون جميعا . الى مرونته على الجدل والمحااجة ، وقدرته على التعبير عما يختلج داخل نفسه ، وغيرته على الاسلام .

وليس من شك في أن تحليل آثار الزمخشري في هذا الكتاب ، لما يزيد في نفعه ، ويضعه في موضعه الذي يحب صاحبه أن يضعه فيه : فللزمخشري آثار نفيسة ، تسمو على آثار من عاصروه من العلماء أو شافهوه من الأدباء ، هي أولى بالدراسة ، وأقمن بالوقوف عندها . « فالكشاف » موسوعة في التفسير ، حافلة بموضوعات كثيرة في النحو والبلاغة والأدب والفقه والقراءات وما يتصل بها من تعليل وتمحيص وتدلبل . « وأساس البلاغة » ، معجم لغوي ، جمع المفردات ومعانيها الحقيقية والمجازية ، وكثيرا من النصوص البليغة التي وردت فيها ، وذلك غير كتبه في الأدب والبلاغة والنقد والأمثال والمقامات والحديث والنحو .

على أن الدكتور الحوفي ، قد عالج كل هذه الآثار ، ووقف وقفة العالم المثبت ، أمام كل ما عثرت عليه يده ، في حيدة تامة ، ومناقشة أصيلة ، وتضلّع فيما كان يديه من رأي ، أو يستعرضه من بيان .

ولو لم يسبق بعض الأدباء من دراسة الزمخشري في كتب محدودة الاتجاه ، لقلت : ان هذا أول كتاب يجمع الزمخشري ، متكاملا ، ويدرسه مجتمعا ، ويقف بعلمه الواسع ، أمام من يريد التأسي ، أو يحب الاعتراف من هذا النبع .

واني لأرجو أن يوفق الله الدكتور الحوفي الى الحصول على بعض كتب الزمخشري المفقودة ، وتتاح له فرصة تحليلها والكشف عما بها من كنوز ، ويومئذ ، يعاد طبع هذا الكتاب ، كموسوعة كبرى ، تضم كل ما ترك الزمخشري في العلم والأدب وسائر الفنون .

ساعات الظلمة

بقلم الأستاذ عبد المعطي المسبري

العذر فقهوتنا يتردد اليها العلم والجهل ، والغنى والفقر ، والحب والبغض ، وما الى ذلك مما تحدثنا عنه حتى سئمناه ، وقد كان خليقا بنا أن نلوذ بالصمت الى أن يحدث ما يستحق الذكر . ولكن للأسف قد سرت الينا عدوى الثرثرة من سادتنا الرواد - .

وعندئذ صاح أحد المقاعد الشابة : « ما تخلصنا يا بابا ! ! ماذا تريد أن تقول ؟ » .

ورد عليه آخر : « من نفسه يا أخي ! منذ شهور عديدة لم يتكلم فدعه يرددش . » ودق جرس « البوفيه » داعيا الى الهدوء والصمت وترك الفرصة للمقعد حتى يفرغ من الكلام ، فعاد المقعد الى الحديث : « الآن يا زملائي الأعزاء لأول مرة أحدثكم عن الشعر . وطبيعي أن قولي لأول مرة ربما أغضب الكثير من الزملاء الذين يعتقدون أنهم من الشعراء . ولكن أرجو أن تهونوا على أنفسكم ، وأن ترجئوا همسكم ولغطكم فستعلمون أن ما جال بخاطر شاعري الذي سعدت به هذا المساء لم يكن شعرا من الطراز الذي ألفناه ، بل كان فنا رائعا ، أتمنى لو يتاح لكم نقله الى رجال الفن ، لعلهم يتأثرون بمعانيه واتجاهاته . »

الى هنا كان الضجر قد جاوز المقاعد الى الموائد ، وقد خشيت أن يسترسل المقعد في الكلام فيدركها الصباح قبل أن تشترك في السمر فقاطعت احداها : « سلامتك أيها العزيز . أكبر الظن ان الأيام قد احوجت سمعك الى ترجمان . الا تذكر اننا اتفقنا منذ مدة طويلة على اغفال الكلام عن الفن ،

أقصى الشمال حيث تخيم الظلمة ليلا ونهارا . فقبع بصارع ما يلح عليه من وهن بما يذكره من أيام عهده بالحياة الصاخبة ، الى أن كان مساء تلك الليلة اذ آثره أحد الرواد فاختره للجلوس عليه .

جاء الرجل بعد الغروب فتبارت المقاعد في النطلع والتبسم والترحيب لاغرائه ، ولكنه صدف عنها جميعا ، واقتحم الركن المنبوذ ثم اتجه اليه منحيا عن طريقه تلك المقاعد ، ومد يده فأمسك بالمقعد القديم الذي كان يرقص فرحا وخجلا .

وجلس الرجل برفق حيث أدرك وهن عظام المقعد . وتماسك المقعد وحبس أنفاسه ليتيح لصاحبه ما يبغيه من دقة التفكير والتأمل ، فقد عرف من شرود نظراته وانطوائه عسل نفسه أنه من الشعراء .

صحبتهما فلم يفترقا الا عندما لم يعد من ذلك بد عند انتهاء السهرة وعودة الرواد الى بيوتهم .

وهكذا قدر للمقعد الحزين أن يقضي ليلة ممتعة ردت اليه اعتباره ، فلم تزدده أعين المقاعد وقت ان جاء دوره في الكلام ولم ينكس رأسه ليتجاوز الدور الى المقعد الذي يليه كالعادة ، بل مال برأسه الى الوراء في تودة ووقار وقال : زملائي الأعزاء . عندئذ حدثت همهمة من المقاعد والموائد ، وصاح بعضها : « ماذا جرى يا صديقنا ؟ أنت ستخطب ! أتريد أن تستأثر الليلة بالحديث وحده ؟ » .

مهلا أيها الأخوان . فسأحدثكم حديثا جديدا.. ان كل ما نفتأ نردده معاد لا لذة فيه . ولنا

الليل سدوله على القهوة ففرقت في الصمت والظلام ، وأخذت صفوف المقاعد تنصت في اطراق واهتمام الى المرأة التي انطلقت في الحديث عما وقع لها أثناء النهار والليل ... عن الوجوه التي تطلعت اليها مشرقة مستبشرة ، والوجوه التي ارتسم عليها الفضول أو التقطيب ، وعن العيون التي صوبت اليها نظرات مختلفة تنطوي على معان شتى من التمني والرجاء ، والحب والرياء ، وعن الشفاه التي تنقلب بين المط والزم والتبسم لتتخير كل منها النحو الذي يكفل لها حسن الوقع والتأثير .

وختمت المرأة حديثها متسائلة : ماذا لو نكاشف الناس ؟ أو لو رزقوا القدرة على قراءة النفوس دون أن تضللهم الرجوه ؟ ! . وعندئذ ردت عليها الساعة : « ماذا ؟ كنت تفقدني يا عزيزتي سلطانك ، اذ لا يعود الناس عندئذ بحاجة اليك » . وكانت قد اكتملت دورتها فشرعت تدق . تن . تن . تن ... ثم عادت في وقار الى سيرها البطيء ، ووسوستها الخافتة تحصي بها على الزمن أنفاسه ! !

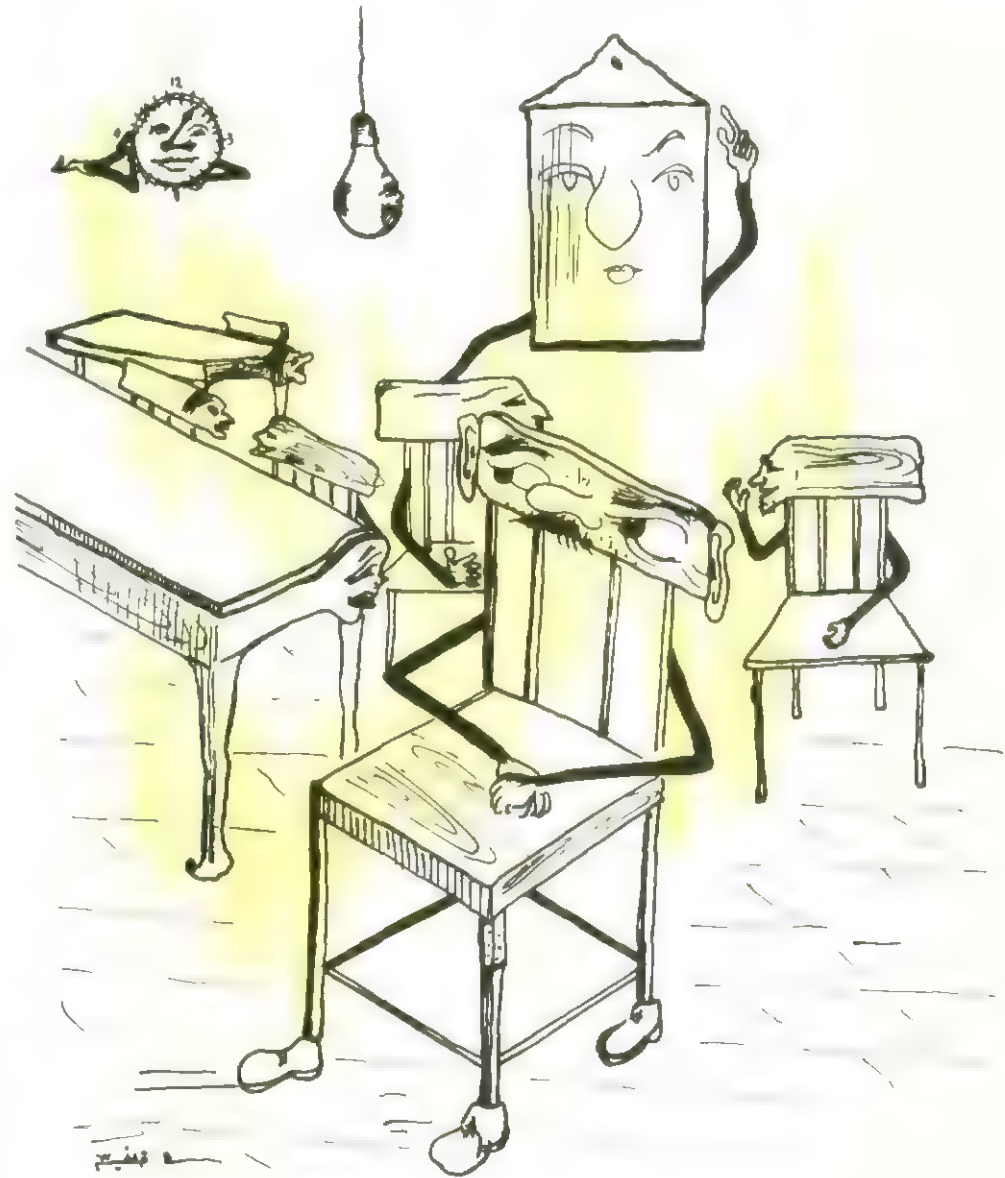
وكان في أقصى الشمال مقعد هرم تنهالك أجزاؤه ، ولكنه يتماسك خجلا من زملائه ، واشفاقا على نفسه من سخرتهم خاصة بعد أن سمع همس المائدة للمقعد الشاب زميله : « يريد أن يأخذ زمنه وزمن غيره ! »

وكان قد مضى على المقعد العجوز عهد بعيد وهو في مكانه لا تلمسه يد الا وتدعه متجاوزة الى غيره . لقد ضنت عليه القهوة بالترميم عندما عشت به يد البلى ، وساقته الى هذا المنفى في

سؤال ؟ أكبر الظن أنك كنت آنذاك في ورشة التصليح .
المصباح : « لقد مست المائدة الموضوع من جانب واحد ، ولعلها تكون مقنعة أكثر لو أشارت الى خطورة الفن في التضييل ، فمنذ كان الفن وهو عرضة للاستغلال من قبل بعض الأفراد لمصالحهم الخاصة . فلكي يكون للفن دوره المزعوم قررنا الافلاخ عن الحديث عنه . »
عندئذ ملك التأثير المقعد فوجه الكلام بعنف الى الجميع : « لست أستطيع أن أتصور كيف نحتمل الدنيا بلا فن ؟! »
فرد عليه مقعد شاب : « وما الذي يمسك بك ؟ هكذا ستكون دنيانا فان كانت لا تعجبك ، فارحل رافقتك السلامة . »
واستدركت المائدة : « أجل ، ارحل عنها أيها الزميل لتتعم بمعاشره أفلاطون وأرسطو ورفائيل وبتهوفن وشكسبير وغيرهم . »
قال المقعد بصوت متهدج : « هذا بالضبط ما سأفعله . »
قالت المرأة : « حسنا تفعل . » وعند لقاءك رجال الفن لا تنس أن تقول لهم بلساننا ان الانسان هو الانسان مع فارق طفيف . انسان الغابة كان يقتل ليعيش ، وانسان المدينة يقتل برغبة في السيطرة والظهور والثراء . » وعندئذ قاطعها المقعد :
« على رسلك ... فكثيرا ما يحول الفن بين الانسان ونزعة الشر ، فالانسان حين يصنع الفن يتجرد من طبيئته ويميل الى الخير . فيرهف حسنه وتسمو مشاعره ويصفو وجدانه . »
وران الصمت والسكون على سائر ما في القهوة ، فاسترسل المقعد في الحديث : « وقد كرم الله الفن ، وهدى الناس الى ما يكمن فيه من خير وممتعة . أبدع سبحانه وتعالى في تصويره للصواب والعقاب ، وفي سرد قصص الانسان منذ الخليقة فكانت فنا رائعا تنطبق عليه الشروط التي عرفت والتي ستعرف . كما أبدع في خلق السموات والأرض والبحار والجبال ثم وصف لنا كيف خلق ذلك كله ، وما خلقه الا بالحق . وشرع الانسان ينظر ويتأمل ويمتتع النظر فيما أبدعه الخالق سبحانه . »
وسكت المقعد ليفسح المجال للساعة التي جعلت تدق تن ... تن ... واحصى السمار دقائقها فاذا بها ست ، فعرفوا أن قد أدركهم الصباح ، فسكتوا عن الكلام المباح .

ما شاء الله . ومع ذلك فالبشرية لم تتأثر به ، بل على النقيض كلما ازدهر الفن وشاع ، أعمت في الشر ، وتفتنت في الابداء ، وأسرفت في الأنانية . وانتهينا أيضا الى أن الفن مرض وبيل يصيب بعض الناس . ومصيبة هذا المرض أن صاحبه يجد فيه متعة فلا يسعى الى الشفاء منه ، بل يشيد بفضله ويتخذة قناعا يوارى به ضعفه موهما الناس وموهما نفسه أنه ممن العباقة . ثم يسير في آخر القافلة يجتر آلامه وأمراضه ، ويدفعه الى ذلك دافع الشهرة والأمل في بقاء اسمه من بعده . من أجل هذا وغيره قررنا غض النظر عنه وعن المصابين به . »
سكتت المائدة فالتفت المقعد الحزين الى المقاعد المجاورة وسألها : « أحقا ما تدعيه هذه المائدة ؟ »
فأجاب بعضها : « حقا ! وهل يحتاج الى

حيث انتهينا الى الحكم بأن لا نفع ولا رجاء منه ، ولذلك كنا أحسن ادراكا لحقائق الأمور من الآدميين ؟ »
قال المقعد : « كيف كان ذلك ؟ ومتى ؟ »
فضجت المقاعد والموائد بالضحك وعادت المائدة الى الحديث : « في ليلة عاصفة كنا نسمر كالعادة ودار حديثنا حول الفن ، استغفر الله ، بل حول أسبابه ونتائجه ، فألفينا الناس قد أجمعوا على أن الفن يساعد على تخفيف ثقل الحياة عن البشرية ويجب اليها الحق والخير والجمال ، ويسير بها بل يدفعها نحو السلام والمحبة والكمال الى آخر القائمة . ثم بحثنا في هذا فوجدناه من الأوهام والأباطيل . فالتناس منذ الأزل وما زالوا يصنعون الفن أو يلهمونه على حد تعبيرهم منذ عهد افلاطون الى الآن وإلى



جميع حكايات



زال السب

كانت زوجة تشكو الى زوجها سوء حال البيت الذي يسكنه ، وكانت تطلب منه أن يستأجر بيتا آخر . وفي مساء أحد الأيام عاد الزوج مغموما ، وقال للزوجة : « لقد ضاعف صاحب البيت أجرته ، وأشعرنا بوجوب المغادرة ان لم نقل . » فأجابته الزوجة : اذن لا داعي لأن نتقل الى بيت آخر .

كل ما يملك في علبة سيجار

التقى أحد أصدقاء الأديب « مارك توين » به وهو يحمل صندوق سيجار كبيرا بين يديه . فدهش الصديق ، وسأله قائلا : « انك وعدت أن تكف وتمتنع عن التدخين ، فما هذا الذي تحمله ؟ » فقال الأديب : « ان هذا الصندوق لا يحتوي على سيجار ، ولكني أحمل فيه ممتلكاتي ، لأنني غيرت مكان سكني . »

النوم رائب

دعى مخرج روائي أحد النقاد ليشاهد العرض التجريبي لاحدى التمثيليات ، وبين رأيها فيها . وخلال العرض نام الناقد ، فلامه المخرج قائلا : « كيف نام ، وأنت تعلم أنني أود أن أعرف رأيك في الرواية ؟ ! » فقال الناقد : « يا بني ، ان النوم رأي أيضا ! »

لم يصل الى هذا الحد ..

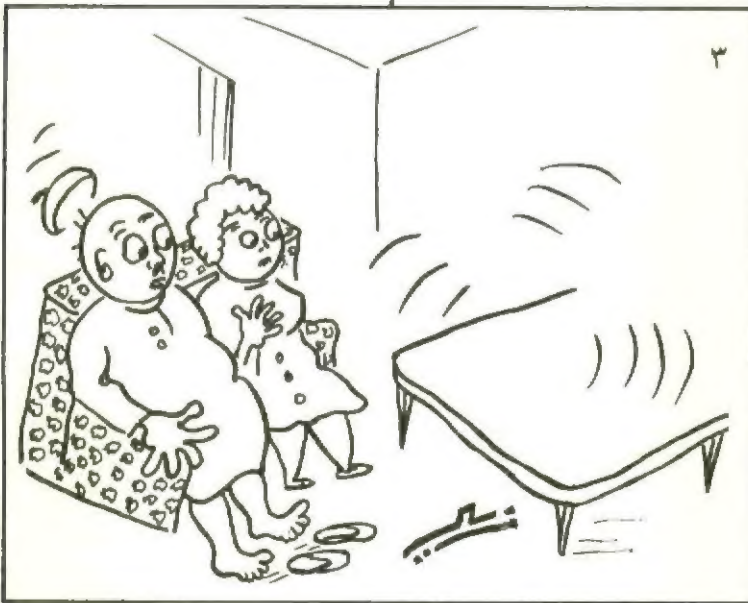
عندما رأى الطفل أن الأسرة سرت جدا بنتائج أخيه الكبير في المدرسة قال : « اني حصلت مائة على مائة في الحساب » . فقال الأب : « اني لا أعلم أنهم يعلمون الحساب في الروضة ! كم يساوي واحد مع واحد ؟ » . فقال الصغير بعد تفكير وتأمل : « انا لم نصل في التعليم الى هذا الحد . »

النظام .. غير مهم

تعرف صحفي خجول على فتاة من عائلة كبيرة ، ولم يعرف كيف يطلب يدها أو يخاطبها في موضوع الزواج . وتشجع مرة واتصل بها هاتفيا ، وقال بصوت متهدج : أريد أن أتزوجك ، فهل توافقين ؟ » . فردت الفتاة : « طبعا ! طبعا موافقة .. من الذي يتكلم ؟ » .

تطور في الزراعة !

سأل رجل صاحبا له : « ما هو التطور الكبير الذي طرأ على الزراعة خلال الثلاثين سنة الماضية ؟ » فرد صاحب : « أنك لا تستطيع في الوقت الحاضر أن تميز بين ابنة الريف وابنة المدينة . »



رمضان ۱۳۸۷

وظرفا الوجتين هما : بالنسبة للافطار ، اذ أن المغرب أي عند مغيب قرص الشمس عن أفق البلد الذي يقيم فيه ، وبالنسبة للسحور قبيل طلوع الفجر الصادق بالنسبة للبلد الذي يستوطنه . هذا وإن تحديد أوقات الطعام والشراب وضبطها بدقة واحكام هما من الأمور الطبية التي تساعد على حفظ الصحة ، وتنمي النشاط العام ، وتريح الجهاز الهضمي من عناء التخطيط في الأكل والشرب بدون ميعاد مقسّم رتيب .

وقد انفرد دين الاسلام بهذه الفريضة ، التي هي تقرير شهر كامل من بين أشهر السنة الاثني عشر بأداء الصيام فيه بكامله حتما محتوما على كل معتنقي هذا الدين الخفيف ممن أشرنا الى أوصافهم فيما سبق . ولهذا التقرير أهدافه المزدوجة المثلى للمسلم ، سواء في نفسه أم في روحه ودينه ، أم في جسمه وصحته ونشاطه .

فمن ناحية النفس نشعر ونحن نوّدي الصيام طيلة بياض النهار بتجربة رائعة ملهمة ، تشخص فيها وفي قرارة أعماقنا غريزة الاطمئنان وطبيعة الهدوء والراحة النفسية ، التي لها مفعولها الكبير في رفع المستوى الفكري والصحي لدينا . ومن ناحية الروح نشعر ونحن نوّدي هذه الفريضة المقدسة أن أرواحنا قد سمت وخلصت من الأدران ، فهي ترفرف في جو شاعري طاهر نضير . ومن ناحية الدين نحس ونحن نقوم بهذا الواجب المهم أننا نقوم بطاعة خالقنا الذي أسدى لنا كل نعمة وخير ، والذي تجب علينا طاعته لأنه موجدنا من العدم . وتوّدي بنا هذه الطاعة الى جو من الغبطة والمتعة وارتياح الضمير ، يقصر دون وصفه البيان .

مفهوم ، فلا تعدو أن تكون كلاما موزونا مقفى . تغيرت ألوان سهراتي ، وبالتالي ذكرياتي بعد المرحلة الابتدائية . فاستولت المذاكرة الجادة على معظم السهرة الرمضانية ، كما باقيها في دكاكين الأصدقاء من الذين تقوم دكاكينهم في وسط الأسواق الغاصة بالناس ، للفرجة على السوق والذاهبين الآيين ، ولقضاء الوقت في ألوان من الأحاديث قد يكون الأدب أحدها ، وكثيرا ما يكون .

وكانت جلساتي عادة اما في مكتبة حيث يطيب حديث الأدب أو الكتب ، أو عند تاجر قماش ، حيث لا ترى الا الألوان الزاهية والأقمشة الجميلة ، أو عند بائع عطور وتحف ، حيث أصيب أحيانا من عطره ، ونادرا ما أصيب من تحفه ، فهي أعلى من أن تسع لها جيب فتى فقير . ويرتبط رمضان عندي بذكريات أدبية في باكورة الشباب ، وبعد أن أطلت مطالعاتي على دنيا الأدب . فقد أخذت أقرأ طه حسين في « أيامه » ، وفي « هامش السيرة » في أحد الرمضانات . كما كنت بعيد صلاة التراويح أجمع أفراد أسرتي ، وهم آنذاك قلة قليلة لا أجد عناء في جمعهم ، ثم أشرع أقرأ لهم طه حسين في صوت أحاول أن أجعله قريبا من صوته من ناحية الأناة والتؤدة ، لا من حيث النبرة . وكنت أجد متعة في كتابتي الدكتور المؤلف ، وكان أعضاء الأسرة يشاركونني في بعض هذه المتعة ، وإن كانوا لا يصبرون لها صبري . ومن ليالي رمضان المتعة ليالي رمضان في المدينة المنورة ، وليالي رمضان في الطائف .

وفي السبعينيات قضيت شهر رمضان مرة في المدينة المنورة ، وكان من أمتع ما قضيت من رمضانات . صدر الليل كان في الحرم النبوي الشريف ، أما عجزه فكان في دور الأصدقاء من أهل المدينة المنورة الذين كانت لهم دوريات حافلة بأحاديث العلم والأدب والسمر الجميل . كما أذكر رمضاننا من رمضانات الطائف كنت أقضي فيه بعض السهرة في ندوة علمية أدبية هي مجلس الفقيه الراحل الشيخ محمد ابن مانع رحمه الله . وكان حينذاك مديرا للمعارف وكان مجلسه ندوة حافلة بأطياب حديث العلم والأدب والكتب والسمر المتع .

وبعد ، فما أكثر حديث الذكريات الرمضانية .. وما أطوله .. وما أطيبه .

من ناحية الجسد فغير خاف ما يزرع فيه الواحد منا طيلة أيام السنة — ما عدا شهر رمضان — من التخمّة بألوان المآكل والمشرب التي يثقل عليه هضمها ، مما يفتر نشاط معدته ويكاد يشل حركتها أحيانا . فإذا جاء الصيام وأدرك المؤمن أنه مطالب فيه كله بالتخفيف من مأكوله ومشروبه ، لأن الصيام انما شرع له للحد من شهوات الأكل والشرب واجرائها في أضيق نطاق ممكن ، حفاظا على صحته من أن تؤثر عليها عادات الطعام والشراب ، فإنه في هذه الحالة ، اذا طبق مستلزمات الصيام المشار اليها ، يشعر بأن صحته تحسنت لا محالة ، ويحس بأنه أراح جسمه من عناء كبير ، وأنقذه من متاعب كثيرة . وفي ذلك اشغال هادى لجسمه فيما خلق له بصفة معقولة ومعتزة ومنظمة . والله لطيف بعباده ، حكيم فيما يشرع لهم ، عالم بأسرار خلقه ، رؤوف بهم رحيم فإنه تعالى قد شرع للمؤمنين بعد الصيام مباشرة عيدا باسماء مشرقا وممتعا للمسلمين . وهذا العيد هو عيد الفطر الذي فيه يمارسون ألوان المتع المباحة مما كان ممنوعا عنهم في بياض أيام الصيام ، وما كان مباحا فيها على السواء . ويرتدون جميل الملابس وفاخرها ، ويأكلون فاخر الأطعمة ودمسها ، ولا ريب في أنهم يشعرون بأن الله أكرمهم بهذا العيد وأنهم نالوا به تنفيسا وترويحاً ، بعد أن قدموا له طاعة الصيام التي هي له خاصة ، والتي هو يجزيهم بها أفضل الجزاء . وهم في هذا العيد لا ينسون بوّساءهم ولا فقراءهم ، فيكرمونهم مما أكرمهم الله . وبذلك يكون المسلمون في صيامهم وعيدهم قد نالوا الحسنتين ، وفازوا بالسعادتين ، وكانوا المجتمع المثالي الأفضل .. فأهلا وسهلا بشهر الصيام ، شهر العبادة المخلصة ، والمحبة والوثام والسلام .

الحركة الأدبية في العالم العربي

• يصدر قريبا عن وزارة الثقافة والارشاد في دمشق كتاب تذكاري عن أديب المهجر الكبير الراحل الأستاذ نظير زيتون يشتمل على الدراسات وكلمات التأبين التي أقيمت في حفل تأبينه في مسقط رأسه حمص . ومن هذه الكلمات ما كتبه نثرا وشعرا الأستاذة ميخائيل نعيمة . ومحمد عبد الغني حسن . وجورج صيدح . وشكر الله الجزي . والدكتور زكي المحاسني . وعبد الله يوركي حلاق . وسعد صائب . والبدوي المثلث يعقوب العودات . وعدنان الداعوق . وغيرهم من رجال الأدب .

• صدرت مؤخرا دراسة كبيرة في الشعر المعاصر وبذور التجديد فيه دارت حول الحياة الخصبة للشاعر الكبير الراحل الدكتور أحمد زكي أبي شادي . بعنوان « أبو شادي وحركة التجديد في الشعر العربي » وهي رسالة أجزيت للدكتوراه وضعها الشاعر الدكتور كمال نشأت .

• ومن الدراسات الجادة التي صدرت في باب الشعر كتاب كبير للدكتور عز الدين اسماعيل عنوانه « الشعر العربي المعاصر - قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية » . ودراسة عن « الملمحة في الشعر العربي » للدكتور سعد الدين الجيزاوي . وفي الوقت عينه حقق الأستاذ عبد المعين الملوحي كتاب « المنصفات » وفيه ما قاله الفرسان العرب من شعر في انصاف خصومهم . وحقق الدكتور رمضان عبد التواب كتاب « قواعد الشعر » لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب . كما صدرت ثلاثة كتب في سير الشعراء هي « علي بن الجهم - حياته وشعره » للأستاذ عبد الرحمن الباشا . و « الأخطل شاعر بني أمية » للدكتور السيد مصطفى غازي ، و « معروف الرصافي » للدكتور الحسيني عبد المجيد هاشم .

• من الدواوين الشعرية الجديدة التي صدرت حديثا ديوان « الحب والموت » للأستاذ عبيد بدوي و « عودة الظلال » للأستاذ عبد الغني سلامة و « أشواق صغيرة » للأستاذ علي محمد الرقيعي و « درب الواحة » للأستاذ علي كنعان و « الطريق والقلب الخائر » للأستاذ أحمد سويلم .

• من الدراسات الشعرية التي تصدر قريبا كتاب « الرصافي وشعره » وقد أشرف على اعداده الأستاذة محمد عبد المنعم خفاجي ، ومصطفى عبد اللطيف السحرتي ، وقاسم الخطاط . و « العقاد شاعرا » للدكتور عبد الحفي دياب يتمم بها بحثه السابق المنشور عن « العقاد ناقدا » وكتاب « القصة في الشعر » للدكتورة عزيزة مريدن .

• صدر مؤخرا باللغة الانجليزية معجم طبي فريد عنوانه « قاموس الطب الفرعوني » وقد صنفه الدكتور حسن كمال . وصدر في الطب كذلك كتاب « الطب والاسلام » للدكتور حامد الغوابي .

• في أدب التراجم والسير صدرت الكتب التالية « أبو الحسن الشاذلي » للدكتور عبد الحليم محمود و « لوكور بوزيه المهندس المعماري » للدكتور عرفان سامي و « لو كان العالم ملكا لنا » وهو تراجم لخمس من رجال الموسيقى وضعها الأستاذ سعد مكاي .

• ومن التراجم المعدة للنشر « مي » للسيدة وداد سكاكيني و « يعقوب صروف » للأستاذ عيسى ميخائيل سابا و « الشيخ حسن العطار » للأستاذ محمد عبد الغني حسن و « ابن تيمية » للأستاذ عبد السلام هاشم حافظ .

• وضع الأستاذ جلال العشري كتابا عنوانه « لن يسدل الستار » تناول فيه الاتجاهات المختلفة في الحركة المسرحية المعاصرة في العالم وعرج فيه على الحديث عن الكتاب المسرحيين العرب في يومنا هذا .

• ظهرت في الأدب الروائي روايات طويلة منها « جراح جديدة » للأستاذ عيسى الناعوري و « ست البنات » للأستاذ أمين يوسف غراب و « غرام سنوحي » للأستاذ يوسف كمال أبو زيد و « الغريب » لأليير كامو وترجمة الأستاذ فوزي عطوي . كما تظهر للسيدة جميلة العلابي رواية « الناسك » .

• ترجم الدكتور عبد الله عبد الدايم كتابا كبيرا في أصول التربية وضعه الفيلسوف الفرنسي أوبير عنوانه « التربية العامة » .

• صدر من كتاب « المغني » للقاضي أبي الحسن عبد الجبار جزآن جديدان هما الثامن وعنوانه « المخلوق » والتاسع وعنوانه « التوليد » . وقد حققهما الدكتور توفيق الطويل والأستاذ سعيد زايد وراجعهما الدكتور ابراهيم بيومي مذكور وأشرف عليهما الدكتور طه حسين .

• ظهر للقنان اللبناني المعروف الأستاذ مصطفى فروخ كتاب « الفن والحياة » . وفيه تعبير بالقلم والريشة عن خواطره وآرائه .

• من الكتب الجديدة التي تتناول مباحث الاستشراق كتاب « نظرات استشراقية في الاسلام » للدكتور محمد غلاب . و « المستشرقون والاسلام » للأستاذ زكريا هاشم زكريا .

• في الفلسفة ظهرت ثلاثة كتب بارزة هي « فلسفة الفكر الاسلامي » للدكتور سليمان دنيا و « أسس الفلسفة » للدكتور توفيق الطويل والجزء الأول من كتاب « الفلسفة الانجليزية في مائة عام » وقد ترجمه الدكتور فؤاد زكريا .

• من الدراسات الأدبية التي تظهر قريبا طبعة ثانية من كتاب « أدب المهجر » للأستاذ عيسى الناعوري و « الصحافة الاجتماعية » للأستاذ أنور الجندي .

• من الكتب التي تبحث في العلوم المختلفة ظهرت هذه الطائفة « المجال الموحد » وهو في علوم الطبيعة والفلك والذرة للأستاذ محمود مكي ، و « مقدمة في الفيزياء الذرية والنووية » وقد ترجمه الدكتور مصطفى كامل . و « الطبيعة العملية » في جزئين للأستاذ عبد المنعم السيد عشري . و « الدواء من الميكروبات » وقد ترجمه الدكتور ميشيل عيسى . و « النبات » للدكتور عباس فتحي الحلالي . و « تربية دودة الحرير » للدكتور عز الدين فراج والأستاذ محمود محمد مزيد . و « تربية النحل » للدكتور فراج والأستاذ مزيد أيضا . و « الأساسيات العملية في علوم الأحياء الدقيقة » للدكتورة أحمد محمد التابعي شحاتة وأحمد صبري عبد الغفار ومصطفى كمال أبو الذهب وسعد الدين الراكشي .

مدينة نور بالشارقة
ليالي شهر رمضان، حيث يملأ السحر
الصور، جلاله يوسف

